المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى



العصر العباسي الثاني

انتساب (١٠٢٣١١)

الفصل الدراسي الثاني
العام الدراسي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ

أ. حنين البركاتي

الصفوة للخدمات العلمية
العزيزية – مدخل جامعة أم القرى الرئيسي - تليفون: ٥٥٧٢٥١٠

شهدت الأوضاع السياسية والإدارية في الدولة الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي تغيراً كبيراً يشار إليه في العادة بعصر ضعف الخلافة وقيام الدول المستقلة وعرف بالعصر العباسي الثاني.

حيث بدأ الضعف يدب في أوصال دولة الخلافة العباسية ، وظهرت دول في المشرق والمغرب أقوى من الخلافة في بغداد مثل الدولة السامانية التي نشرت الإسلام في مناطق التركستان (الأجزاء الشمالية من وسط آسيا) في القرن الثالث الهجري، و الدولة الغزنوية التي نشرت الإسلام في الهند في القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين والدولة الحمدانية التي ألحقت بالإمبراطورية البيزنطية العديد من الهزائم، ودولة الأغالبة في تونس التي هزمت تحالف البيزنطيين والبابا وبعض ممالك أوربا الجنوبية في القرن الثالث الهجري، والدولة الأيوبية وما أحرزته من انتصارات عظيمة على التحالف الأوربي الصليبي في عصر صلاح الدين في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي وكدولة المماليك التي أوقعت أول هزيمة بالمغول في غزوهم للعالم الإسلامي.

وهو ما يدعونا ورغم الضعف الذي ظل وصفة ملازمة لذلك العصر الذي لم يكن ضعيفا كله، بأن الأمة كانت لا تزال قوية بعد القرن الثالث الهجري، وذلك بالنظر إلى أن الدول المستقلة التي ذكرنا بعضا منها ساهمت في هذه القوة من خلال الاعتراف بالخليفة العباسي بالدعوة إليه في مساجدها، وبإرسال قدر من المال إليه سنوياً، والحصول على موافقة الخليفة عند تسمية ولي العهد وتعيين الحاكم الجديد. وهي أمور تدل على أن الخليفة رغم حالة

الضعف الإداري التي كان يمر بها، وعدم قدرته على ممارسة سلطاته الفعلية كخليفة على تلك الدول، إلا أنه ظل يحتفظ بنفوذ روحي قوي جعله صاحب المقام السامي الرفيع بين أمرائها وحكامها خاصة التي قامت في المشرق.وهو العصر الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية قمة مجدها وهو ما لم يكن تحقيقه إلا في وجود أوضاع مستقرة.فليس من الإنصاف إذن وصف ما آل إليه أمر الخلافة الإسلامية بعد القرن الثالث الهجري بالضعف والتدهور، فما حدث إن هو إلا نتيجة مباشرة لتغير نظام الحكم من مركزي إلى لا مركزي كما يرى البعض.

أهم ما تميز به العصر العباسي الأول:

أ- تعتبر سيطرة الخلفاء العباسيين على سير الحوادث في العصر العباسي الأول أهم ميزة ميزته عما تلاه من عصور،حيث استطاع الخلفاء الأقوياء الذين حكموا في هذا العصر السيطرة على مقاليد الأمور حتى صار الحكم متمركزا في أيديهم وصارت الدولة مركزية الحكم. وعبر المركزية حافظ الخلفاء على علاقتهم الوثيقة مع الشعوب التي ساندتهم إبان الثورة.معلوم أن الدعوة والثورة وقيام الدولة لم يكن جهدا عربيا خالصا وإنما شاركتهم شعوب أخرى في هذا كالفرس. ولهذا صار واجبا على بني العباس وقد وصلوا إلى الخلافة الاعتراف بالفضل لهؤلاء من خلال الاحتفاظ بعلاقات طيبة معهم، إذ لا تزال تلك الشعوب تشكل السند الحقيقي للعباسيين في مواجهة أعدائهم التقليديين مما تبقى من الأمويين، وأعدائهم الطامعين في الحكم من بني العباس وغيرهم.

ب- الكفاءة النادرة التي تميز بها الخلفاء في تصديهم وقضائهم على العناصر الطامعة في النفوذ والسلطان عدا: دولة بني أمية في الأندلس،إمارة عبد الرحمن بن حبيب في أفريقية؛ قيام الدولة الرستمية في تاهرت،دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ودولة الأغالبة في تونس. ولعل مرد هذا إلى قيام تلك الكيانات في نطاق جغرافي بعيد عن حاضرة الخلافة في بغداد من جهة، ولاتفاقات تمت بين بعض الخلفاء وأمراء تلك الإمارات من جهة أخرى. أضف إلى هذا أن الدولة والإمارات المذكورة لم تشكل خطرا حقيقيا على الخلافة العباسية، فكانت الحكمة وبعد النظر يقتضيان عدم الدخول معها في أي صراع مباشر، كانت الخلافة في غنى عنه.

٣- إقامة نوع من التوازن بين التيارات السياسية المختلفة التي ظهرت بعد قيام الدولة العباسية.فكأنما كانت تلك الحركات في حالة بيات شتوي في العصر الأموي ولما سطعت شمس العباسيين استيقظت من نومها ودبت الحركة في أوصالها.

مميزات العصر العباسي الثاني:

١- انتقال نظام الحكم من المركزية إلى اللامركزية في صورة مغايرة كليا لما حدث في العصر العباسي الأول.

٢- قيام دويلات إسلامية مستقلة استقلالا تاما أو جزئيا، معترفة بسلطان الخلافة الروحي عليها.ومن الظلم أن نعزو قيام هذه الدويلات إلى العصر العباسي الثاني وحده ونحمله المسئولية كاملة في قيامها. فأول دولة ظهرت

في مشرق الخلافة ظهرت في العصر العباسي الأول عصر القوة، تحديدا في عصر الخليفة المأمون وتلتها دول في المغرب مع الإشارة إلى أن بني أمية بعد زوال دولتهم في المشرق أقاموا لهم دولة في الأندلس "اسبانيا" في العصر العباسي الأول أيضا.

٣-دخول شعوب جديدة في المجتمع الإسلامي وتمكنها من الوصول إلى الحكم. ومن ثم وقوع الخلفاء تحت نفوذ هذه الشعوب وما نجم عنه من إضعاف لدورهم السياسي وفقدانهم الاحترام الذي كان سمة ملازمة لخلفاء العصر العباسي الأول.

الأتراك في الدولة العباسية :

يقول الدكتور محمد علي البار في كتابه: "التركستان مساهمات وكفاح" عن ظهور الأتراك في مسرح الخلافة العباسية: بدأ العنصر التركي يظهر منذ تولي الخليفة العباسي المعتصم سدة الخلافة حيث كانت أمه تركية تدعى ماردة ولا شك أن الأتراك الذين كانوا يجلبون للبيع في أسواق بغداد أو القاهرة أو دمشق، لم يكونوا من التركستان الغربية التي أسلمت منذ فترة طويلة بل كانوا يجلبون من التركستان الشرقية التي لم تسلم بعد في ذلك الحين، لأن الإسلام يحرم تحريما تاما استرقاق المسلم و لا يجوز الرق إلاّ في الحرب مع الكفار"٠ ونشير أيضا إلى أن الخليفة العباسي المعتصم في جعل حرسه وجيشه من الأتراك الشرقيين والذين كان يجلبهم له التجار من التركستان الشرقية ومن القبجاق (قازاقستان حاليا). ولأن المعتصم لم يكن له حليف يستند إليه فوجد في الأتراك حليفا قويا وقد خيل إليه أنه سيكون في مهب الريح إن بقي بعيدا عن سياسة التحالفات التي طبقها المأمون بدهائه وقوته وسلطانه.

العلاقة بين الخلافة والأتراك:

بعد أن استمرت بغداد التي قام ببنائها الخليفة المنصور خمسين عاما عاصمة للخلافة العباسية، قام الخليفة المعتصم بنقل العاصمة إلى سامراء التي قام ببنائها لتكون عاصمة للعصبية التركية كيلا يصطدم الجيش بالشعب، وجعل فيها شارعا اسمه الشارع العظيم ،بعد أن زاد عدد الترك وضاقت بهم بغداد وأهلها، واقطعها لهم فصارت لهم أراض يقيمون فيها وبيوت ومساكن. صاحب هذا الانتقال ظهور قادة أتراك كبار لعبوا أدوارا كبيرة في الحياة العامة،يساندهم جمهور تركي كبير، خدموا الدولة وساندوها في حروبها الداخلية ضد الحركات المناهضة لها، وفي حروبها الخارجية ضد الإمبراطورية البيزنطية، مثل حيدر بن كاوس "الأفيشين" الذي استطاع القضاء على ثورة بابك الخرمي وكان أحد قواد المعتصم الثلاثة في موقعة عمورية، وأشناس، ايتاخ، وصيف وسيما الدمشقي والذين كانوا غلمانا من الترك كانوا مماليك لبعض الأشخاص،اشتراهم المعتصم وقربهم إليه ورفع من أقدارهم. ولم يكتف بعضهم بما أنعم عليه به الخليفة بل طمع في الاستئثار بشئون الحكم في العاصمة لما أدرك أن الخلافة لا يمكنها الاستغناء عن خدماته فلجأ_إلى تكوين كيان خاص به وأتباعه سواء في كنف الخلاقة أو منفصلا عنها. وفي إشارة بينة إلى تعاظم نفوذهم في عهد الواثق أطلق الأخير على أشناس لقب سلطان فكان بذلك أول خليفة استخلف سلطانا. وتعتبر خلافة الواثق بن المعتصم فترة انتقال بين عهدين: الأول هو عهد تمكن الأتراك مع بقاء هيبة الخليفة. والثاني يبتدئ بالخليفة المتوكل، وهو عهد تمكن الأتراك مع زوال هيبة الخليفة وانحدار مكانته.

بعد أن أحكم الأتراك سيطرتهم على مقاليد الخلافة وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، بدءوا يحكمون سيطرتهم على الخليفة نفسه يراقبون أعماله وتحركاته، وتشديدا لقبضتهم على الخلافة أخذوا يتدخلون في اختيار الخلفاء وتوليتهم،.ومعلوم أن الواثق هو آخر الخلفاء الذي جرت توليته على السنة التي كانت متبع من قبل. ثم مات ولم يعين وليا للعهد من بعده، وهنا برز النفوذ التركي بكل طغيانه وصولجانه والذي ظهر جليا في نجاح وصيف التركي وجماعته في تولية الخلافة جعفر بن المعتصم، بدلا عن محمد بن الواثق الذي كان يدعمه الحرس القديم ممثلا في كبار رجال الدولة من أبناء البيت العباسي الذين كان بيدهم الحل والعقد.وقد ساعد الأتراك الإقدام على هذه الفعلة أن محمد بن الواثق كان صبيا صغيرا لا يصلح للخلافة، وكان الذي تولى معارضة توليته وصيف التركي.ومن ثم شكلت هذه الحادثة سابقة خطيرة في تولية الخلفاء بعد ذلك إذ صار القادة الأتراك هم أهل الحل والعقد، لا تتم تولية الخلافة إلا بموافقتهم ورضاهم.

وحتى لا يفهم أن الخلفاء في سامراء قد سلموا قيادهم للأتراك يسوقونهم أنى شاءوا، يجب القول أن الخلفاء العباسيين لم يخضعوا للنفوذ التركي في سهولة ويسر، بل صارعوه مصارعة شديدة، لكن لم يكن لديهم من القوم ما يستطيعون به صد هذه القوم التركية المتدافعة، إلى أن عادوا إلى بغداد واستعانوا على الأتراك بالعناصر غير التركية الموجودة فيها، وبعد أن ظهرت في الأفق قوة الديلم التي بدأت تصل إلي العراق، وأخذت تشارك في الأحداث، وظلت تنمو حتى استطاعت قهر النفوذ التركي واحتلال مكانه.

طبيعة العصر العباسي الثاني:

نجد أن سياسة التجزئة التي اتبعها الخلفاء في العصر العباسي الأول خاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي قسّم الدولة بين ولديه الأمين والمأمون ، فعهد لابنه الأمين بالمغرب وابنه المأمون بالمشرق الإسلامي ،أدت إلى انتصار النزعة الانفصالية التي مهدت لظهور الدويلات المستقلة. مهد لهذا الاستقلال تطلع الشعوب غير العربية في العصر العباسي الأول ، إلى مساواتها التامة بالعرب وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية. وقد أدى هذا التطلع وتنفيذ الخلافة العباسية له إلى تقوية الروح الشعوبية لدى الشعوب غير العربية ودفعها لإقامة دول انفصالية عنصرية. غير أنه ورغم روح الانفصال العنصري هذه ، فقد حافظت تلك الدويلات في الوقت نفسه على الولاء لمنصب الخلافة وأعلنت اعترافها بالسلطان الروحي للخليفة. ومما قنن من الروح الانفصالي هذا لجئوا خلفاء بني العباس خاصة في عهد سيطرة الأتراك إلى تعيين بعض القادة الأتراك حكاما على تلك الأقاليم والذين قاموا بدورهم نوابا لهم لإدارة تلك الولايات باسم أولئك القواد، الذين فضلوا الإقامة في عاصمة الخلافة والمشاركة في رسم السياسة العليا للدولة، والاشتراك في المؤامرات والتمتع بحياة البلاط.فانتشر الفساد والإفساد بالأموال الذي لم يسلم منه حتى الخلفاء أنفسهم.

أسماء خلفاء العصر العباسي الثاني وفترة حكمهم

١- أبو الفضل جعفر المتوكل ٢٣٢-٢٤٧ه\٨٤٧-٨٦١م.

٢- أبو جعفر محمد المنتصر ٢٤٧-٢٤٨ه\٨٦١-٨٦٢م.

٣- المستعين بالله:أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم ربيع الآخر٢٤٨-محرم٢٥٢ه/ ٨٦٢-٨٦٦م.

٤- المعتز بالله: أبو عبد الله محمد المعتز ٢٥٢ محرم- رجب٢٥٥ هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م.

٥- المهتدي بالله: أبو اسحق محمد بن الواثق رجب٢٥٥هـ- رجب٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م.

٦- المعتمد على الله:أحمد بن المتوكل بن المعتصم. رجب ٢٥٦ه-رجب٢٧٩ ه\٨٧٠-٨٩٢م.

٧- المعتضد بالله: أبو العباس احمد المعتضد رجب ٢٧٩ه-٢٨٩ هـ ربيع آخر\٨٩٢- ٩٠٢.

٨- المكتفي بالله: علي بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل ربيع الآخر ٢٨٩-٢٩٥ ذي القعدة/ ٩٠٢-٩٠٨م.

٩- المقتدر بالله: أبو الفضل جعفر بن المعتضد ٢٩٥-٣٢٠ شوال هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م.

١٠- أبو منصور محمد القاهر ٣٢٠-٣٢٢هم ٩٣٢-٩٣٤م.

١١- أبو العباس احمد الراضي ٣٢٢-٣٢٩ه/ ٩٣٤-٩٤٠م.

١٢- أبو اسحق جعفر المتقي ٣٢٩-٣٣٣ه/ ٩٤٠-٩٤٤م.

١٣- أبو القاسم عبد الله المستكفي ٣٣٣-٣٣٤ه/ ٩٤٤-٩٤٦م.

المتوكل على اللّه

٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م.

أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد:

ولد في شوال سنة ٢٠٦هـ. أمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع .بايعه القواد الأتراك والعامة في اليوم الذي توفي فيه الخليفة الواثق وهو ٢٤ ذي الحجة ٢٣٢هـ. استمر خليفة إلى قتله الأتراك بتدبير وتنفيذ من القائد التركي بغا الصغير ليلة الخميس الرابع من شوال سنة ٢٤٧هـ وكانت مدة خلافته ١٤ سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام. تجدر الإشارة إلى أن الواثق لم يعهد بالخلافة إلى أحد من بعده. امتاز عن سائر أهل بيته بكراهة علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) وأهل بيته. وهو ما يعرف في العقائد بالنصب وهو ضد التشيع. زاد في عهده عدد الأتراك في الجيش وتعاظم نفوذهم وقوتهم.ولمواجهة هذا التعاظم في النفوذ و القوة ولكراهيته لغلمان الترك، قام الواثق بنقل العاصمة إلى دمشق، كأول خليفة عباسي ينقل عاصمة الخلافة العباسية من بلاد العراق إلى بلاد الشام، لكنه سرعان ما عاد على سامراء تحت ضغط الأتراك .

صفاته:

كان المتوكل ميالا للتقليد فلم يكن يحب الجدل، لذلك أمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث وإظهار السنة. وقد استطاع بهذا الميل الظفر بمكانة عظيمة في قلوب جماهير المسلمين، حين منع النقاش في القضايا الجدلية التي أثارها المعتزلة، مثل قضية خلق القرآن، كما رد للإمام أحمد بن حنبل اعتباره وجعله من المقربين إليه، بعد أن اضطُهد في عهد المأمون والمعتصم والواثق؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن، كما أمر المتوكل الفقهاء والمحدِّثين أن يجلسوا

للناس ويحدثوهم بالأحاديث التي فيها رد على المعتزلة. كما تشبه في نظام ولاية العهد بجده هارون الرشيد فعقد الولاية لأولاده الثلاثة وهم محمد المنتصر ومحمد المعتز وإبراهيم المؤيد.

المتوكل وأهل الذمة:

فيما يخص العلاقة بين المتوكل وأهل الذمة نذكر أنه كان ينفر من استعمال أهل الذمة في الدواوين ويكره أن يظهروا في الطريق بظهر المسلمين.

وفي هذا السياق نهى أن يتعلم أولاد أهل الذمة في كتاتيب المسلمين وأن يعلمهم معلم مسلم. وأمر أن يلبسوا زيا خاصا بهم وأن تكون لهم سروج خاصة بهم لركوبهم.

المتوكل والروم:

ظلت الحرب بين المسلمين والروم سجالا في خلافته لا تنقطع إلا لهدنة وقتية ففي ٢٣٨هـ أغار الروم على مصر من جهة دمياط فعاثوا فيها فسادا وأخذوا كثيرا من نساء المسلمين وأهل الذمة سبايا وعادوا ولم يتعرض لهم أحد. وفي العام ٢٤١هـ جرى الفداء الرابع بين الروم والمسلمين وهو ما يعرف بمصطلح العصر بتبادل الأسرى وذلك لمدة سبعة أيام مع الاختلاف حول عدد من تم فداه من الجانبين.وفي سنة ٢٤٢هـ اقترب الروم من آمد ونهبوا عدة قرى واسروا عددا عظيما من أهلها ولم يتمكن من خرج في إثرهم من اللحاق بهم. وفي ٢٤٤هـ جند المتوكل جندا بقيادة القائد التركي بغا من دمشق لغزو الصائفة فافتتح صملة. وفي العام ٢٤٥هـ تبادل الجانبان الغزو حيث قام الروم بغزو سميساط وتمكنوا من قتل وسبي نحوا من خمسمائة من أهلها، بينما غزا

علي بن يحيى الصائفة. وفي العام ٢٤٦هـ تم الفداء السادس بين الروم والمسلمين فبلغ عدد من فدي فيه ٢٣٦٧ نفسا.

المنتصر باللّه

(**شوال ٢٤٧هـ- ربيع الآخر ٢٤٨هـ**).

أبو جعفر محمد. أمه أم ولد رومية اسمها حبشية. ولد في سامراء سنة ٢٢٢هـ وبايع له أبوه بولاية العهد سنة ٢٣٥هـ ونصبه الأتراك خليفة عقب مقتل أبيه في شوال ٢٤٧هـ. و أول شئ فعله بعد تنصيبه خليفة استدعائه أخويه المعتز والمؤيد في جنح الليل وإلزامهما بالبيعة له، وتنازلهما عن ولاية العهد، حيث تم له ما أراد تحت ضغط الأتراك وإكراههم. وفي خطوة غير متوقعة قام بترك "المتوكلية "عاصمة الخلافة على أبيه المتوكل وعاد إلى سامراء العاصمة الثانية للخلافة العباسية. واستمر خليفة حتى وفاته في ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ إما بمرض الذبحة في حلقه، أو بسبب الورم الخبيث(السرطان) أو بالسم الذي وضعه له طبيبه ابن طيفور في مبضع نظير ٣٠٠٠٠ دينار. وقد يكون يرجح هذا لأنه كان دائم التفكير في التخلص من الأتراك الذين كانوا سببا في قتله لأبيه، فتخلصوا منه قبل أن يتخلص منهم. وكان يسبهم ويقول:هؤلاء قتلة الخلفاء. وقد ادعى أن القائد التركي الفتح بن خاقان هو الذي قتل أباه المتوكل،لذا قتله قصاصا. وقد بلغت مدة خلافته ٦ أشهر فقط.

صفاته وسياسته:

اختلفت السياسة التي اتبعها المنتصر عن سياسة أبيه المتوكل في كثير من الوجوه من ذلك سياسته مع العلويين فقد قام برفع الضيم عن آل أبي طالب وأمر بالكف عنهم وبعدم تتبع أخبارهم وسمح بزيارة قبر الحسين (رضي الله عنه) وقبور غيره من آل أبي طالب، فحببه هذا إلى الناس عامة والى آل البيت خاصة.كما أطلق أوقاف الطالبيين، وترك التعرض لشيعتهم، ودفع الأذى عنهم.وسمح كذلك

لمن أراد من الناس زيارة قبر علي والحسين "رضي الله عنهما" بزيارتهما. غير أن أهم ما تميزت به سياسته، إظهاره الإنصاف في الرعية الذي أمال إليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة هيبتها له.

الحوادث في عهد:

قامت الجيوش الرومية بمهاجمة أرض الشام سنة ٢٤٨هـ فجهز المنتصر جيشا كبيرا بقيادة القائد التركي "وصيف" للتصدي للروم وإلحاق الهزيمة بهم، وأمره أن يبقى أربع سنوات في الشام بعد انتصاره لينظم أمر الثغور فيها، في محاولة من المنتصر للتخلص من وصيف وإبعاده عن مركز الخلافة. وقاد محمد بن عمرو الشاري تمردا في ناحية الموصل من أرض الجزيرة الفراتية فأرسل إليه المنتصر قائده اسحق بن ثابت الفرغاني الذي تمكن من أسر الشاري وزعماء التمرد وقام بإرسالهم إلى سامراء فتم قتلهم .

ويرى كثير من المؤرخين أن سيطرة الأتراك الفعلية على مقاليد الأمور في العصر العباسي الثاني بدأت بموت المنتصر،ومن بعده صار الخليفة العباسي في يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاء قتلوه، وهو رأي لا ينسحب على كل خلفاء هذا العصر، فقد جاء من الخلفاء من كان قويا وحاول استعادة هيبة الخلافة رغم قوة الأتراك وسيطرتهم.

المستعين بالله

ربيع الأول ٢٤٨هـ- محرم ٢٥٢هـ

أبو العباس أحمد، أمه أم ولد صقلية اسمها مخارق. تولى الخلافة في السادس من ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ = يونيو سنة ٨٦٢م، وعمره ثمانٍ وعشرون سنة، فعقب وفاة المنتصر اجتمع الأتراك بزعامة بُغا الصغير وبُغا الكبير، وقرروا عدم تولية الخلافة لأحد من أولاد المتوكل ، خوفًا من انتقامه منهم، لذا قاموا بمبايعة أحمد بن المعتصم، الملقَّب بالمستعين بالله خليفة بتدبير من الوزير أحمد بن الخصيب كنتيجة مباشرة لاجتماع القادة الأتراك الثلاثة الكبار :بغا الكبير، بغا الصغير وأتامش.وهو أول خليفة من بني العباس لم يكن أبوه خليفة بعد مؤسسي الدولة السفاح والمنصور، وأول خليفة تولى بعد ابن عمه ولم يكن وليا للعهد. و لهذا كان من الطبيعي ألا يكون للمستعين بالله مع الأتراك أمر ولا نهى. تولى الوزارة في عهده : أحمد بن الخصيب وكان وزيرا للمعتصم ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزيد وكان أبوه وزيرا للمأمون. ومحمد بن الفضل الجرجرائي وكان وزيرا للمتوكل ولم يسمى وزير .

الحوادث في عهده:

أراد بعض الجند الأتراك الذين لم يرضوا ببيعة المستعين، مبايعة المعتز بن المتوكل باعتباره ولي العهد الشرعي، وأحدثوا بعض الاضطرابات. وبعد قتال استمر عدة أيام تعرضت فيه العاصمة بغداد للنهب تمكن معظم الجيش التركي المؤيد لقرار قادته الكبار بتولية المستعين بالله خليفة، من هزيمة الجند واستعادة الاستقرار والأمن بالعاصمة واستتباب الأمور للمستعين. كما تمكن القائد التركي

أنوجو من القضاء على التمرد الذي قاده أبو العمود الثعلبي في الجزيرة الفراتية وقتل قائده في قرية كفر توثي في ٢٥ ربيع الآخر ٢٤٨هـ. وفي سنة ٢٤٨هـ تمرد أهل حمص وهزموا واليها وطردوه، فحاربهم الفضل بن قارن قائد المستعين فقتل منهم خلق كثير وأرسل مائة من زعمائهم إلى سامراء وهدم سور المدينة حتى لا يفكر أهلها مرة أخرى في التمرد.

وفي ١صفر ٢٤٩هـ حدثت انتفاضة شعبية في شرق بغداد ضد سيطرة الأتراك على الخلافة واستهانتهم ولعبهم بالخلفاء، وانضم إليها بعض الجنود الذين قاموا بمحاصرة سجن بغداد ،وأخرجوا من كان فيه وقطعوا الجسر الواقع بين طرفي بغداد، وقطعوا الجسر الآخر وخربوا كثيرا من الأمكنة.وقد نجح المنتفضون في الوصول إلى سامراء وحاصروا سجنها وأخرجوا من كان فيه. فأرسلت كتيبة من الموالي لوقفها والقضاء عليها،لكنها فشلت، فجهز جيش تركي مسنود بعامة الأتراك تمكن من إخماد الانتفاضة، التي ألحقت أضرارا بالغة بالمغاربة وأحرقت حيهم.

وفي ١٥ رجب ٢٤٩هـ شهدت جبهة الجهاد ضد الروم مقتل القائدين الكبيرين عمر بين عبيد الله الأقطع وعلي بن يحيى الأرمني، بسبب ضعف الجهاد واضطراب أمر الثغور وعدم قيام الخلافة بواجبها نحو الجهاد، فتصدى أغنياء بغداد للأمر فقادوا حملة تبرعات وحملة نفير للجهاد تدافع إليها كثير من أهل فارس والأهواز ومناطق الشرق لغزو الروم.

وخرج يحي بن عمر بالكوفة واستولى على ما في بيت المال، وحرر من كان بسجنها،فانضم إليه الزيدية وكل من هو محسوب على الشيعة، فحقق انتصارين سريعين على جنود الخلافة العباسية، وجهز نفسه لمواجهة جيوش

الخلافة التي حركت لمواجهته جيشا لملاحقته والقضاء عليه.فقرر التحصن بالكوفة ولكنه خرج إلى ظاهرها نزولا عند رغبة أتباعه في مباغتة جيش الخلافة بهجوم خاطف في الليل. وبعد قتال دام جرى بين الطرفين غلبت الكثرة الشجاعة وخر يحيى صريعا وقطع رأسه وحمل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الذي حمله إلى المستعين بسامراء، فنصب الرأس بباب العامة بها، ومنه أخذ إلى بغداد لينصب بها. ويعد فشل هذه الثورة استكمالا لفشل ثورات العلويين ضد العباسيين.

وبنواحي طبرستان خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل الملقب بالداعي الكبير الذي زحف على مدينة آمل حاضرة طبرستان بمبايعة رؤساء الديلم، ثم سار إلى سارية وغلب واليها سليمان بن عبد الله وتم له بذلك الاستيلاء على جميع طبرستان ونجح في تكوين الدولة الزيدية بطبرستان والتي استمرت نحوا من قرن من ٢٥٠-٣٥٥هـ. غير أنه لم يمضِ وقت طويل حتى غضب عليه الأتراك وقرروا خلعه وتنصيب المعتز بالله محمد بن المتوكل مكانه؛ فاشتعلت الحرب بين أنصار المستعين وأنصار المعتز، وانتهت بالقبض على المستعين وقتله في سجنه في شوال سنة ٢٥١ هـ/ ديسمبر سنة ٨٦٦م.

المعتز بالله محمد بن المتوكل

٢٥٢ محرم- رجب٢٥٥ هـ/٨٦٦-٨٦٩م

بويع له بالخلافة في شوال سنة ٢٥١ هـ / ديسمبر سنة ٨٦٦م، وعمره تسعة عشر عامًا، وقد استضعفه الأتراك وطلبوا منه مالاً فاعتذر لهم بفراغ بيت المال، فثاروا عليه وضربوه ومزقوا ملابسه، وأقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر، ثم سجنوه وعذبوه حتى مات في شعبان سنة ٢٥٥هـ / يوليو سنة ٨٦٩م .

من أهم الحوادث التي شهدها عهد خلافة المعتز قيام الدولة الصفَّارية في فارس بزعامة يعقوب بن الليث الصفَّار وذهاب أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ /٨٦٨م نائبًا عن واليها، حيث استطاع في فترة لاحقة أن يستقل بها عن العباسيين، وأن يضم إليها الشام مكونًا بذلك **الدولة الطولونية** في مصر والشام.

المهتدى باللّه محمد بن الواثق

رجب٢٥٥هـ- رجب٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م

بايع الأتراك المهتدى بالله خليفة للمسلمين في رجب سنة ٢٥٥هـ / يونيو سنة ٨٦٩م، عقب الإطاحة بالمعتز، وقد كان المهتدى تقيا شجاعًا حازمًا، وكان يتخذ عمر بن عبد العزيز مثله الأعلى، ويقول: إني أستحيى أن يكون في بنى أمية مثله، ولا يكون مثله في بني العباس، ولذلك نبذ الملاهي وحرَّم الغناء والخمور وحارب الظلم.

حاول المهتدى بالله أن يوقف طغيان الأتراك واستبدادهم فقتل بعضهم، فثاروا عليه وأسروه وعذبوه ليخلع نفسه فرفض، فقاموا بخلعه وسجنه وتعذيبه حتى مات في رجب سنة ٢٥٦هـ / يونيو ٨٧٠م.

المعتمد على الله

رجب ٢٥٦هـ- رجب٢٧٩ هـ\٨٧٠-٨٩٢م

تولى المعتمد على الله أحمد بن المتوكل الخلافة بعد خلع المهتدى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، تُوفي الخليفة المعتمد في رجب سنة ٢٧٩هـ / سبتمبر سنة ٨٩٢م، بعد أن حكم البلاد ثلاثة وعشرين عامًا. وقد حفل عهده بالعلماء الأعلام في مجالات المعرفة المختلفة

وقد أتاحت الظروف التي تولى فيها مقاليد الحكم ظهور ما عُرف باسم صحوة الخلافة في العصر العباسي الثاني. فقد تصاعد النزاع الداخلي بين القادة الأتراك، وساءت معاملتهم لجنودهم، كما ازدادت شكوى الجمهور من مضايقاتهم، مما أدى إلى ظهور اتجاه قوى داخل الجيش بحتمية جعل القيادة العسكرية العليا في يد أحد أمراء البيت العباسي؛ يقوم الخليفة باختياره، ويدين له الجميع بالطاعة، وقد اختار المعتمد أخاه الموفق قائدًا للجيش، فكانت صحوة الخلافة؛ حيث استردت قوتها وهيبتها واستطاع الموفق بحكمته وحزمه وصلابة إرادته أن يكبح جماح الأتراك، وأن يعيد تنظيم الجيش، ويقر الأمن والنظام.

و رغم أن المعتمد بالله كان الخليفة الرسمي فإن أخاه الموفق كان صاحب السلطة الفعلية، فكان له الأمر والنهى، وقيادة الجيش ومحاربة الأعداء، ومرابطة الثغور، وتعيين الوزراء والأمراء، وكان قضاء الموفق على ثورة الزنج سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م بمثابة أعظم إنجاز له.

المعتضد بالله أبو العباس أحمد

رجب ٢٧٩هـ-٢٨٩ هـ ربيع آخر/٨٩٢- ٩٠٢ م

تولى الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد، وكان قوى الشخصية؛ فحفظ هيبة الخلافة، كما كانت في عهد أبيه الموفق وعمه المعتمد، يقول السيوطى: كان المعتضد شهمًا جلدًا، موصوفًا بالرُّجلة أي الشجاعة، وقد خاض الحروب وعُرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس ورهبوه أحسن رهبة، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته، وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء.

و قد تمكن المعتضد خلال حكمه الذي دام عشر سنوات من تهيئة المزيد من القوة والاستقرار للدولة العباسية، فقضى على مصادر الفتن والثورات، وأخمد ثورة بنى شيبان بأرض الجزيرة سنة ٢٨٠هـ/893 م، وثورة حمدان بن حمدون – رأس الأسرة الحمدانية – بالموصل، واستولى على قلعة ماردين التي كان يتحصن بها سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤م، كما قضى على ثورة الخوارج في الموصل بزعامة هارون بن عبد الله الشارى الذي وقع في الأسر، وأمر المعتضد بضرب عنقه سنة ٢٨١ هـ/٨٩٦م.

المكتفي بالله علي بن المعتضد

ربيع الآخر ٢٨٩-٢٩٥ ذي القعدة/ ٩٠٢-٩٠٨م

تولى الخلافة في ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ/ مارس سنة ٩٠٢م عقب وفاة أبيه، وعمره خمس وعشرون سنة، ورغم أنه كان حسن السيرة محبوبًا لدى الرعية فإنه لم يكن يتمتع بما كان يتمتع به أبوه المعتضد، من قوة الشخصية والحزم، فكانت خلافته تمهيدًا لعودة الأمور إلى أوضاعها السابقة، باعتبارها فترة انتقالية بين صحوة الخلافة وانتكاستها.

و قد شهد عهد المكتفي أحداثًا كثيرة، منها: ازدياد خطر القرامطة وتهديدهم للشام والحجاز واليمن، وقد جرت على يد زعيمهم زكرويه بن مهرويه مذابح بشعة ضد حجاج بيت الله الحرام وعامة الناس، ونشروا الفزع في أنحاء العالم الإسلامي، واستطاع زكرويه أن يهزم جيشًا للخليفة المكتفي، وأن يقتل منه عددًا كبيرًا، فأعد له المكتفي جيشًا حشد فيه أكفأ القواد، نجح في قتل زكرويه وكثيرًا من أتباعه عام ٢٩٤هـ / ٩٠٧م، و قام بتتبعهم في العراق ولكنه لم يستطع القضاء عليهم تمامًا، فظلوا من بعده مصدر خطر كبير ومهدد لكيان الخلافة. وشهد عهد أيضا تولية أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبى ولاية الموصل والبلاد التابعة لها سنة ٢٩١ هـ /٩٠٦م، فاعتبرت هذه التولية مقدمة لاستقلال الحمدانيين بالموصل وتمكنهم من ضم حلب إليها، ونشأة الأسرة الحمدانية فيما بعد.

تُوفي المكتفي وفاة طبيعية في ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ/ أغسطس ٩٠٨م، بعد أن ترك خزانة الدولة ممتلئة بالأموال، وقد أرجع المؤرخون ذلك إلى الجهد الذي بذله أبوه المعتضد في جلب أسباب الاستقرار الاقتصادي إلى الدولة، وحسن سيرة المكتفي بالله.

المقتدر بالله جعفر بن المعتضد

٢٩٥-٣٢٠ شوال هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م

تولى الخلافة بعهد من أخيه المكتفي في ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ/ أغسطس ٩٠٨م، وكان صبيا في الثالثة عشرة من عمره، لم يلِ الخلافة قبله أصغر منه.وقد أثار توليه الخلافة اعتراض كثير من رجال الدولة بسبب صغر سنه، بحجة عدم قدرته على الاضطلاع بشئون الخلافة، في وجود الأقدر منه على تحمل المسئولية، خاصة عبد الله بن المعتز الشاعر المعروف بتمام العقل وجودة الرأي. عليه اتفق رأى عدد من رجالات الدولة على خلع المقتدر و تولية عبد الله بن المعتز، وكان عمره نحو تسعة وأربعين عامًا، ولما عرضوا الأمر على ابن المعتز وافق بشرط ألا يسفك دم أو تنشب حرب، فأخبروه أن الأمر يُسلَّم إليه عفوًا، وأن جميع من وراءهم من الجند والقواد والكُتَّاب قد رضوا به، فبايعهم على ذلك، وتمت البيعة لابن المعتز في ١٩من ربيع الأول سنة ٢٩٦هـ/ نوفمبر سنة ٩٠٨م، ولقب بالراضي بالله، لكن أنصار المقتدر - على رأسهم مؤنس الخادم – لم يرضوا بهذه البيعة(الانقلاب الداخلي)، وتوجهوا نحو معسكر ابن المعتز وأنصاره وألقوا القبض عليهم بعد أن فتكوا بهم، وأعادوا تنصيب المقتدر خليفة في اليوم التالي لبيعة ابن المعتز، الذي لم يمكث في الخلافة إلا يومًا أو بعض يوم، ولهذا يتجاهله المؤرخون عند ذكرهم قائمة خلفاء بني العباس.

وشهد عهد المقتدر تدهور الأوضاع ، وانتشار الفتن وازدياد تمزق الدولة، حتى أصبحت الخلافة نهبًا للطامعين بسبب صغر سنه، وعدم مقدرته على

الإمساك بزمام الأمور ، وكثرة تحكم النساء والخدم في شئون البلاد، فكانت أم المقتدر وتسمى "شغب" تولِّى من تشاء وتعزل من تشاء، كما كان مؤنس الخادم صاحب مكانة متميزة وخطيرة في عهد المقتدر.

وفي عهده ازداد خطر القرامطة اتساعًا وعنفًا ، فوصل أقصاه سنة ٣١٧هـ /٩٢٩م، حينما دخلوا مكة المكرمة دونما مراعاة لحرمة مكان أو زمان ،بقيادة أبى طاهر القرمطى فأشاعوا الخوف والرعب في النفوس وقتلوا وذبحوا حجاج بيت الله الحرام حتى امتلأت بأجسادهم الطاهرة بئر زمزم ،بل قاموا بالاستيلاء على الحجر الأسود وأخذه إلى مركزهم الرئيس بَهجَر وظل بها إلى أن تم رده إلى مكانه في عهد المطيع سنة 339هـ / ٩٥٠م

و من أهم الأحداث في التي شهدها عهده بداية ظهور العُبيديين أو الفاطميين في شمالي إفريقيا الذين ينسبون وتنسب دولتهم المعروفة بالفاطمية إلى أبى عبد الله الحسين بن أحمد، المعروف بأبي عبد الله الشيعي "اليمني الأصل"، الذي صار رأس الدعاة الفاطميين البارزين في المغرب آنذاك،والذي كان يعرف أحيانًا باسم المحتسب؛ لأنه كان مراقبًا لأسواق البصرة بالعراق قبل انتقاله إلى المغرب.

تمكن أبو عبد الله الشيعي من القضاء على دولة الأغالبة في المغرب، والاستيلاء على عاصمتها رقادة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م، ومن ثم تم تنصيب أول إمام من أئمة الفاطميين وهو عبيد الله المهدى – وكنيته أبو محمد– الذي قيل إنه من سلالة الإمام الحسين بن على بن أبى طالب. فتلقب بأمير المؤمنين، وبنى مدينة المهدية واتخذها عاصمةً له، وانتقل إليها من رقادة سنة ٣٠٨هـ/

920م، وقد نجح الفاطميون في الاستيلاء على مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.

من الأحداث المهمة التي شهدها عهد المقتدر – أيضًا – قيام دولة بنى حمدان في الموصل، فقد استمر أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان يحكم الموصل والبلاد التابعة لها من قِبل الخليفة المكتفي حتى وفاته سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، فخلفه ابنه حسن الملقب "ناصر الدولة" على ولاية الموصل، وتمكن من مد سلطانه إلى ديار ربيعة ومضر بأرض الجزيرة العربية، وبلغ اتساع نفوذ الحمدانيين وملكهم ذروته بعد وفاة الخليفة المقتدر، فنجحوا في بسط سلطانهم على حلب وشمال الشام سنة ٣٣١ هـ/٩٤٥م بقيادة زعيمهم المعروف سيف الدولة الحمداني.و قد أسهم أمراء بني حمدان وفي مقدمتهم سيف الدولة الحمداني في صد غارات الروم البيزنطيين عن مناطق الثغور الإسلامية، وفي رعاية الحركة العلمية والأدبية التي بلغت في عهدهم مركزًا مرموقًا.

وقد ساءت العلاقة بين المقتدر بالله وخادمه مؤنس الخادم؛ مما أدى إلى مقتله على يد أنصار مؤنس في أواخر شوال سنة ٣٢٠هـ/ 932 م، بعد أن ظل في الحكم خمسًا وعشرين سنة، هي أطول مدة يقضيها خليفة عباسي في الحكم حتى عصره. و رغم تدهور أحوال البلاد السياسية في عهد المقتدر فإن الحياة العلمية قد شهدت ازدهارًا ملحوظًا في هذا العصر .وبمقتل المقتدر دخل عصر نفوذ الأتراك مراحله الأخيرة.

القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد

٣٢٠-٣٢٢هـ/ ٩٣٢-٩٣٤م

تولى الخلافة في شوال سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، عقب مقتل المقتدر، وعمره ثلاث وثلاثون سنة. وقد اتصف القاهر بالغلظة وقلة التثبت، علي هذا فإنه نجح فيما فشل فيه غيره وهو أنه نجح في التخلص من مؤنس الخادم، صاحب النفوذ الأكبر في عهد المقتدر، ومن غيره من أعيان الدولة. يؤخذ عليه أنه لم يستفد منها شيئا كثيرا فقد أدى سوء سياسته إلى الانقلاب عليه وخلعه عن الخلافة والتنكيل به على يد الوزير المشهور أبو على بن مقلة صاحب الدور الأساسي في خلع القاهر والتنكيل به، لخوفه منه واعتقاده أنه كان يدبر للقضاء عليه، فهاجم أعوانه الخليفة القاهر في دار الخلافة وقبضوا عليه وثملوا عينيه وعذبوه وأعلنوا خلعه في الثالث من جمادى الأولى سنة ٣٢١ هـ/ 934م.

ولعل من أبرز التطورات السياسية التي شهدها عهد القاهر –رغم قصره– ظهور النفوذ البويهى في بلاد فارس سنة ٣٢١ هـ/933 م، والذي اعتبر مقدمة لامتداد نفوذهم إلى العراق وسيطرتهم على مقاليد الأمور هناك في سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسية في عصرها الثاني.

الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر

٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م

بايع الجند الراضي بالله في السادس من جمادى الأولى سنة ٣٢١ هـ وعمره خمسة وعشرون عامًا، وقد كان من خيار الخلفاء، فاضلاً سمحًا جوادًا،شاعرًا محبا للعلماء. ورغم ما كان يتحلى به من صفات حميدة فإن أمر الخلافة قد اختل في عهده اختلالاً خطيرًا، وازداد تمزق الدولة واستفحل نفوذ المتطلعين للسيطرة على زمام الأمور؛ فقد ازداد نفوذ البويهيين في فارس وتطلعوا للاستيلاء على العراق، كما تمتع بنو حمدان بنفوذ مطلق في الموصل وديار بكر وربيعة ومضر، واستقلت الدولة الإخشيدية في مصر والشام عن الخلافة العباسية، وكذلك الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر بزعامة نصر بن أحمد السامانى، وأصبح للأمويين خلافة مستقلة في الأندلس تحت حكم عبد الرحمن الثالث الأموي الملقب بالناصر ٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ 913 - 961م، وسيطر القرامطة بزعامة أبى طاهر القرمطى على البحرين واليمامة.

ظهور منصب أمير الأمراء:

وتدهورت الأوضاع في أوائل عهد الراضي تدهورًا كبيرًا، بسبب عجز الوزراء وازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم في شؤون الدولة، وكان محمد بن رائق والى واسط والبصرة واحدًا من أبرز هؤلاء القواد وأكثرهم نفوذًا وتأثيرًا، فاختاره الخليفة الراضي ليقوم بمهمة إنقاذ الخلافة من التدهور الإداري الحاد الذي تعانى منه، وأسند إليه منصب أمير الأمراء في عام ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م. و قد أصبح محمد بن رائق بمقتضى هذا المنصب الخطير الذي لم يظهر قبل ذلك

على مسرح الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية، القائد الأعلى للجيش، والمسئول عن إدارة شئون الدولة والخراج، وأصدر الخليفة الراضي أمرًا بأن يُخطَب لابن رائق على جميع المنابر في جميع البلاد الخاضعة للخلافة، وبذلك تحول منصب الخليفة إلى منصب شرفي، وصار أمير الأمراء هو الحاكم الفعلي للبلاد؛ مما جعل كبار رجال الدولة من أمثال أبى عبد الله البريدي صاحب الأهواز، وبَجْكم التركي، وناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل، وتوزون التركي رئيس الشرطة وغيرهم، يتصارعون من أجل الوصول إلي المنصب، وظل الحلال هكذا إلى أن جاء البويهيون وأحكموا سيطرتهم على زمام الأمور ووضعوا حدا لهذا الصراع .و قد تُوفي الخليفة الراضي بالله وفاة طبيعية في منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ / ديسمبر سنة ٩٤٠م، بعد أن فقد السيطرة على مقاليد الأمور بصورة تكاد تكون شبه كاملة.

المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر

٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م

تولى الخلافة في ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ / ديسمبر سنة ٩٤٠م بتدبير أمير الأمراء بَجْكم التركي وكاتبه أبى عبد الله الكوفي، وكان عمره حينئذٍ أربعًا وثلاثين سنة. وقد شهدت خلافته القصيرة ٣٢٩ – ٣٣١ هـ / ٩٤٠– ٩٤٤م سلسلة من الصراعات بين كبار رجال الدولة على منصب أمير الأمراء، مما أضاف مزيدًا من الاضطراب والفوضى إلى الأوضاع الداخلية المضطربة والمتدهورة أصلا،فكانت النتيجة الطبيعية أن فقد المتقى لله سيطرته على مقاليد الأمور،ولم يعد يملك من الأمر شيئا، فقام أمير الأمراء توزون التركي بسمل عينيه وخلعه، وبذلك انتهت خلافته في صفر سنة ٣٣١هـ / سبتمبر سنة ٩٤٤م

المستكفي بالله

٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٦م

تمت بيعته بالخلافة في صفر سنة ٣٣١هـ/ سبتمبر سنة ٩٤٤م بحضور أمير الأمراء توزون التركي وبإشرافه، وكان عمره واحد وأربعون عامًا، ولم يكن له أدنى سلطة في إدارة شئون البلاد، فقد صار الأمر كله في يد أمير الأمراء أبى الوفاء توزون التركي، وكاتبه أبى جعفر بن شيرزاد. ومن أبرز الحوادث التي شهدتها خلافة المستكفي بالله؛ امتداد سلطان الحمدانيين بقيادة سيف الدولة الحمداني على حلب وحمص اللتين كانتا تحت سيطرة الإخشيديين.

وما لبثت أن تدهورت الأحوال الداخلية في عهد المستكفي بشكل متسارع ينذر بالنهاية الوشيكة؛ فتطلع البويهيون إلى بسط سلطانهم على العراق، فنجحوا في ذلك سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، لتنتهي المرحلة الأولى في تاريخ العصر العباسي الثاني أو مرحلة ما عرف بالنفوذ التركي أو عصر سيطرة الأتراك، لتبدأ المرحلة الجديدة الثانية في تاريخ العصر الثاني للخلافة العباسية،التي عُرفت فيما بعد باسم عصر النفوذ البويهي ثم عصر النفوذ السلجوقي.

الدول المستقلة:

تميز العباسي الثاني بقيام دول في مشرق الدولة الإسلامية وفي مغربها؛ فقامت ففي المشرق نشأت دول مستقلة منها الدولة الطاهرية في خراسان (٢٠٥- ٢٥٩هـ) والدولة الصفارية في فارس (٢٥٤ -298هـ) والدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر (٢٦١- ٣٨٩هـ) والطبرية الزيدية العلوية التي كانت علاقتها علاقة عداء مع الدولة العباسية، في إقليم طبرستان، والدولة الزيارية

الديلمية الشيعية الزيدية المذهب، المتفرعة عن الطبرية والمنسوبة إلى مرداوج بن زيار التي استغنت عن الخلافة الزيدية واتصلت بالخلافة العباسية واعترفت بها. والدولة البويهية(٣٢٠-٤٤٧هـ) في إقليم الأهواز وإقليم كرمان، التي حكمت جزءا محدودا من العالم الإسلامي. وفي مصر والشام قام المماليك بتأسيس دول لهم مثل: الدولة الطولونية (٢٥٤- ٢٩٢هـ)، والدولة الإخشيدية (٣٢٣- ٣٥٨هـ)، والدولة المدرارية(١٤٠-٣٤٩هـ) وهي دولة خارجية صفرية، عاصمتها مدينة سلجماسة في جنوب المغرب الأقصى، أسسها السوداني الأسود عيسى بن يزيد المكناسي في بلاد المغرب ،والدولة الرستمية(١٤٤-١٩٦هـ) وهي دولة خارجية أباضية قامت في بلاد المغرب الأوسط، ودولة الأدارسة (١٧٢-٣٦٣هـ) وهي دولة علوية حسنية أسسها إدريس بن عبد الله الحسن، في المغرب الأقصى، ودولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ) بالمغرب الأدنى. وظهرت أيضا دول في وسط الخلافة الإسلامية، مثل الدولة الحمدانية في الموصل (٣١٧- ٣٨٠هـ)، وفي حلب (٣٣٣- ٣٩٤هـ).

وكان للأتراك الشرقيين الدور الأكبر في قيام دول كأن لها شأن عظيم، فقد كان جل الدول التالية من العنصر التركي الآتي من التركستان الشرقية وهي الدولة الغزنوية.الدولة الطولونية. - الدولة الاخشيدية. الدولة السلجوقية الكبرى والسلاجقة العظام ثم السلاجقة في الأمصار المختلفة والاتابكيات. الدولة الخوارزمية وقد تبع هذا العهد دول كثيرة لعب فيها العنصر التركي القادم من التركستان الشرقية وبلاد القبجاق دورا بارزا وذلك في العهد المملوكي حيث كان كثير من حكام المماليك من تلك المناطق.

وبالبحث في العلاقة بين هذه الدول والخلافة العباسية فإننا نجد أن الدويلات التي قامت في مشرق الخلافة الجغرافي وهي التي تعرف بالدول المستقلة في ايران كالدولة الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية والطبرية ، ظلت على ولائها للخلافة العباسية في شكل استقلال ذاتي داخلي.بينما نجد الدويلات التي قامت في المغرب الإسلامي استقلت استقلالا سياسيا وروحيا تاما عن الخلافة العباسية مثل: دولة بني أمية السنية في الأندلس، دولة الادارسة العلوية في فاس بالمغرب الأقصى،دولة بني رستم الأباضية في تاهرت بالمغرب الأوسط. ولم تكن هذه الدول تدين لبغداد عاصمة الخلافة بغير الولاء الاسمي والدعاء للخليفة على المنابر وإرسال بعض الجبايات والأموال.

إلا أنه وأيا كان النظر لهذه الدويلات من حيث علاقتها بالخلافة وإلى أي حد ساهمت في سقوط الخلافة على المدى الطويل كما يرى البعض، أو كانت سببا في إطالة عمر الخلافة العباسية كما يرى البعض الآخر، ينبغي ألا نغفل الدور الايجابي الذي قامت به هذه الدول تجاه الإسلام والمتمثل في نشر الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوربا.وكذلك التنافس فيما بينها والذي أدى إلى ازدهار الحضارة الإسلامية.

أسباب ظهور الدول المستقلة:

بدأت ملامح الاستقلال عن الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول(١٣٢-٢٣٢هـ) في الفترة التي اصطلح على تسميتها بعصر القوة في الخلافة العباسية، وهو ما يخالف الاعتقاد السائد بان ضعف الخلافة في العصر العباسي الثاني كان السبب في ظهور هذه الدويلات.غير أن هناك أسبابا أخرى نجملها في الآتي:-

١- هيمنة العناصر التي كانت مغلوبة على أمرها في العصر الأموي على مهام الخلافة في العصر العباسي الأول وأبرزهم الفرس الذين اشتهر منهم البرامكة وبنو سهل.

٢- دخول العناصر غير العربية إلى ساحة الصراع خاصة في العصر العباسي الثاني الذي عرف بين المؤرخين بعصر نفوذ الأتراك الذين صاروا القادة الفعليين للدولة وصار الخلفاء ألعوبة في أيديهم، عدا بعض الفترات التي شهدت ظهور خلفاء أقوياء.

٣- هروب كثير من الشيعة إلى مناطق المغرب وإقامتهم دولا لهم على أنقاض دولة بني أمية، مثل دولة بني أمية بالأندلس.

٤- سوء الأوضاع الاقتصادية التي مرت بها الدولة العباسية أثرت تأثيرا مباشرا على الولايات وأدت إلى ظهور حركات مناهضة للعباسيين أخذت في تأليب الناس ضد الخلافة العباسية والخروج عليها.

٥-الاتساع الجغرافي الكبير الذي شهدته الدولة الإسلامية من التركستان شمالا إلى البحر العربي والصحراء الكبرى جنوبا، ومن الصين شرقا والمحيط الأطلسي غربا، جعل مركز الخلافة بمعزل عن الأطراف القصية للدولة وما يجري فيها.

تجدر إلى شارة إلى أنه في الوقت الذي كانت فيه الدول التي قامت في مغرب الخلافة تتجه نحو الاستقلال التام عن الخلافة العباسية، كانت الدول التي قامت في مشرق الخلافة تحرص على البقاء متصلة بالخلافة معترفة بسلطانها وأن يكون قيامها بتأييد من الخلافة نفسها، ولم تكن دولة منها ترى

شريعة لقيامها إلا إذا اعترف به الخليفة العباسي "الاسمي" رغم فترات الضعف التي مرت بها الخلافة .

وإن كان التركيز فيما يتعلق بقيام هذه الدول ظل قائما على الجوانب السالبة لقيامها فإن من الإنصاف ذكر الجوانب الموجبة والتي تمثلت في قيام ولاتها بمهمة الجهاد ونشر الإسلام بين الوثنيين خاصة بين الديلم الذين انتشر الإسلام بينهم بفضل الدولة الزيدية الطبرية، والترك بفضل السامانيين والغزنويين، والغور والهنود بفضل الغزنويين والسلاجقة. فالدولة الطاهرية حملت عبء الجهاد في المشرق فلما ضعفت، قامت بالدور السامانيون الذين مدوا نفوذهم إلى وسط آسيا ونشروا الحضارة الإسلامية في تلك البلاد، فدخل علي أيديهم عدد كبير من أهلها في الإسلام. وقامت في أيامهم المراكز الثقافية الإسلامية في بلاد ما وراء النهر والتي كانت عاملا قويا في صبغ الترك بالصبغة الإسلامية مما خفف من خطرهم على العالم الإسلامي.وبعد السامانيين حمل الراية قوم من الترك كانوا قد أخذوا الإسلام عن السامانيين عرفوا بالخوارزميين ظلت دولتهم قائمة بمهمة الدفاع عن الحدود، إلى أن اجتاحها المغول في اجتياحهم للعالم الإسلامي. وفي بلاد الهند والسند تولت المهمة الدولة الصفارية التي خلفتها في أداء الرسالة الدولة السامانية حتى قيام الدولة الغزنوية التي كان لها القدح المعلى في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر وبالأخص مناطق شمالي الهند التي كونت ما عرف حاليا بدولة باكستان الإسلامية. وقد أدى قيام هذه الدول إلى ظهور مراكز حضارية كانت قبلة أنظار التجار والعلماء والشعراء مثل بخارى وسمرقند والفسطاط وقرطبة وفاس وغيرها.

الدول المستقلة في المغرب

الدولة الرستمية

١٤٤-٢٩٦هـ

بدأ عهد الدولة الرستمية الخارجية الإباضية عندما بويع عبد الرحمن بن رستم الذي يقال أنه من أصل فارسي، بويع بالإمامة بمدينة تاهرت بمقاطعة وهران غربي الجزائر ، وهي تعد أول دولة إسلامية مستقلة في المغرب. يذكر أن الأباضية والصفرية كانوا من أكثر المذاهب الخارجية انتشارا في بلاد المغرب عقب الفتح الإسلامي. ولما توفي عبد الرحمن بن رستم ترك أمر الخلافة شورى في سبعة أشخاص من بينهم ابنه عبد الوهاب. وقد استمرت الدولة الرستمية قائمة في بلاد المغرب مرتبطة مع علاقة طيبة مع الدولة الأموية بالأندلس إلى أن قضى عليها الفاطميون سنة ١٩٦هـ.

اشتهرت الدولة الرستمية بازدهار الحياة الثقافية و الاقتصادية حيث ازدهرت العلوم الشرعية والعقلية ازدهارًا كبيرًا حتّى أصبحت تاهرت تلقب بعراق المغرب، وقد استمرت الدولة الرستمية في أداء دورها الإسلامي الثقافي في المغرب والسودان وغرب أفريقيا، فشجعت التعليم و التأليف و إنشاء المكتبات مثال كالمكتبة المعصومة في تاهرت التي تضم ثلاثمائة ألف مجلد في شتى العلوم الدينية والعقلية.

يقول المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلالي: "ولم تكن هناك دولة جزائرية كانت تداني حضارة هذه الدولة فيما بلغته من الرقي، و الازدهار المادي و الأدبي، فلقد بلغت تاهرت يومئذ شأنا عظيما من العمران، و من توفر

أسباب الحضارة و الرفاهية، حتى أنها كانت تشبه و تقارن بقرطبة و بغداد و دمشق و غيرها من العواصم اللامعة.''ومن أئمة هذه الدولة: مؤسس الدولة الإمام عبد الرحمن بن رستم. الإمام عبد الوهاب بن رستم. الإمام الشاعر العالم افلح بم عبد الوهاب. الإمام الأديب أبو بكر بن افلح وغيرهم. وسقطت الدولة الرستمية سنة ٢٩٦هـ بعد سلسلة من الفتن والصراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة على عهد الإمام اليقظان بن أبي اليقظان.

دولة الأدارسة

١٧٢-٣٦٤هـ

قام العلويون في عهد الخليفة الهادي بثورة في الحجاز، ورغم انه تم القضاء على هذه الثورة في موقعة "فخ". إلا أن بعض قادتها نجح في الإفلات من أيدي العباسيين والهرب إلى أماكن نائية، منهم إدريس" بن عبد الله بن الحسن ابن على –رضي الله عنه– وأخوه يحيى الذي اتجه الى المشرق والتف حوله الديلم، بينما اتجه إدريس إلى أقصى المغرب .وهناك أعلن أنه من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) وسرعان ما التف حوله البربر و أسس الدولة الادريسية. غير أن الخليفة هارون الرشيد كاد لإدريس بأن دس له من قتله بالسم سنة ١٧٧هـ.، ولكن ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله(إدريس الثاني) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الدولة تمكن من جمع أهل المغرب حوله وأسس مدينة فاس في ١٩٢هـ لتكون عاصمة للدولة. وتعاقب على حكم الدولة بعد إدريس الثاني ثمانية من الأدارسة كان أعظمهم قوة وأعلاهم منزلة يحيى الرابع بن إدريس بن إدريس بن عمر(٢٩٢–٣١٠هـ). وقد حكم أمراء الأدارسة البلاد باسم الفاطمين. يذكر أن حكم الأدارسة ببلاد المغرب امتد من السوس الأقصى إلى وهران، وزال ملكهم بعد أن حكموا أكثر من قرنين(١٧٢–٣٧٥هـ). وفي عهدها دخل كثير من البربر في الإسلام وهم الذين ثبتوهم على الإسلام. الجدير بالذكر أن أكثرية من المسلمين السنة ساندوا هذه الدولة رغم أنها كانت دولة شيعية.كما قام الأدارسة بدور كبير جدا في نشر الإسلام في غرب أفريقية.

وعرفت العاصمة فاس بإشعاعها الحضاري المتميز حيث ضمت العديد من المساجد والجوامع والحمامات، كما أصبحت مركزا للتجارة و قبلة العلماء والفقهاء والأطباء، غير أن أهم ما تميزت به هو جامع القرويين الذي يعود بنائه إلى سنة ٢٤٤هـ/٨٥٩ م وظل هذا المسجد منارة للعلم فترات طويلة وكانت فيه مكتبة ضخمة ويقال: إنه أقدم جامعة في تاريخ الإسلام. وتذكر المصادر أن إدريس الثاني ساهم في تعريب المغرب باستقدامه خمسمائة أسرة عربية من الأندلس والمشرق وإفريقية إلى بلاد المغرب واستوطنهم فيها.

دولـــة الأغالبـــة

١٨٤هـ/٢٩٦م.

أصبحت الدولة الأغلبية أول دولة تستقل عن العباسيين، كان ذلك أثناء خلافة هارون الرشيد الذي وافق على العرض الذي قدمه إبراهيم بن الأغلب بأن يعهد إليه الرشيد بولاية بلاد المغرب مقابل توفيره ١٠٠ ألف دينار كانت ترسلها مصر إلى إفريقية إضافة إلى ٤٠ ألف دينار سنويا،من أجل إقامة اسر حاكمة تحكم باسم الخلافة في الأقاليم التي كانت تنزع إلى الاستقلال أو كانت الخلافة تعجز عن حكمها حكما مباشرا.اتخذ ابن الأغلب القيروان عاصمة لدولته غير أن سرعان ما انتقل منها إلى مدينة القصر القديم التي شرع في بنائها سنة ١٨٥هـ. وسرعان ما اثبت ابن الأغلب أن حاكم ناجح استطاع في فترة وجيزة وقف طموح الأدارسة بعقد اتفاقا معهم يقضي بأن يكف كل طرف عن الآخر في ناحيته. واستطاع بنو الأغلب كذلك القضاء على كل الثورات التي قامت في أفريقية، وبتنمية موارد التقليم لسداد النفقات الحربية الهائلة لمواجهة تحركات الروم ضد الساحل الإفريقي، كما قاموا بحملات بحرية ناجحة أدت إلى فتح مالطة وصقلية التي بدأ غزوها الحقيقي في عهد الأمير زياد الله بن إبراهيم وذلك بفضل القوة البحرية التي أنشأها إبراهيم بن الأغلب لإبعاد الخطر الرومي بصورة نهائية عن الساحل الإفريقي.

وقد اشتهر بنو الأغلب بأعمالهم البحرية،فكانوا أول من فتح جزيرة صقلية، ثم تابعوا فتوحاتهم في جنوب إيطاليا وسردينيا،و رغم أنهم لم يتوسعوا داخل الأراضي الإيطالية، إلا أنهم أخضعوا كل المدن الساحلية إلى سيطرتهم،

ولم تسلم حتى روما منهم، وكانوا يقومون باجتياح هذه المدن ثم ينسحبوا إلى قواعدهم. وقد لعبت هذه الجزر والسواحل دورا عظيما في تجسير التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوربا عندما صارت معابر مرت من فوقها الحضارة الإسلامية إلى أوربا التي كانت تعيش ظلاما حضاريا دامسا. وساعدت على تأمين طرق التجارة الإسلامية في غرب البحر المتوسط . ويشهد للأغالبة بازدهار الحياة الاقتصادية والعمرانية في تونس في عهدهم، التي لعبت مساجدها دورًا متعاظما في ترسيخ قواعد الحضارة الإسلامية، يشهد على ذلك جامع الزيتونة الذي أسسه عبد الله بن الحبحاب سنة ١١٤هـ وصار جامعة إسلامية عظيمة كالأزهر الشريف في مصر.وفي عهدهم صار للمغرب شخصية ثقافية مستقلة فظهرت مدارس القيروان وغيرها من المدارس الإقليمية، وساد المذهب المالكي بلاد المغرب حتى صار لهم وطنية وعقيدة مذهبية. وظلت هذه الدولة تؤدي دورها إلى أن تمكنت الدولة الفاطمية من إسقاطها سنة ٢٥٦هـ.

الدول المستقلة في المشرق

الدولة الطاهرية

(205-259هـ/٨٢١-٨٧٣م)

أسسها طاهر بن الحسين أحد كبار قواد الجيش في عهد الخليفة المأمون في خراسان كأول حركة استقلالية قامت في مشرق الخلافة العباسية، مكافأة من الخليفة العباسي المأمون لطاهر بن الحسين الذي كان وابنه عبد الله من كبار رجال الدولة و قادتها في الوقت الذي بدأ فيه الصراع بين الأمين والمأمون.ولذلك يقال أن قيامها يعد تعبيرا عن رغبة الخلافة العباسية وتأييدها. وقد اتخذت من مدينة نيسابور عاصمة لها.

يذكر أنه كان لإقليم خراسان وضع خاص في الدولة العباسية منذ نشأتها، إذ كان هؤلاء الخراسانيون يدعون بأنهم أصحاب حق في الدعوة والثورة و الدولة العباسية، وأن سيدهم صاحبهم ورأسهم "أبا مسلم الخراساني" هو المؤسس الأكبر لهذه الدولة، وأن العباسيين تنكروا لكل عهودهم ومواثيقهم مع فقاموا بالتخلص منه وقتله.غير أن الواقع يشهد خلافا لهذا الادعاء أن الخلافة العباسية كانت تتجاوز كثيرًا عن أفعال الخراسانيين، وتحاول إرضاءهم؛ اعترافًا بفضلهم على الدولة.

لقد وقف طاهر بن الحسين إلى جوار المأمون في كثير من المواقف الصعبة. غير أنه لم يمرَّ إلا عامان على خلافة المأمون حتى أقدم "طاهر بن الحسين" على خطوة جريئة لم تكن في الحسبان،عندما قام في سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م بقطع الدعاء في الخطبة للمأمون، وكان قطع الدعاء يعنى الاستقلال عن الخلافة.

وكان الموت اسبق في الوصول إلى طاهر بن الحسين قبل أن يصل المأمون إليه الذي قام بتولية بن طاهر. وقد ظل الطاهريون يحكمون خراسان حكما فعليا، ولكنهم يتبعون "الدولة العباسية" تبعية اسمية مما جعل الخلافة العباسية تلجأ إلى الطاهريين، تلتمس منهم المؤازرة والمساندة ضد الخارجين على سلطانهم.

لقد قام عبد الله بن طاهر بالقضاء على ثورة نصرَ بن شبث في شمال حلب سنة ٢٠٩هـ، وعلى الفتن الخارجية في مصر، وعلى الحركات المناهضة للخلافة في خراسان، والمشاركة في إخماد حركة المازيار فى عهد المعتصم بطبرستان،وقام طلحة بن طاهر بحرب الخوارج في سيستان، وهكذا نرى أن الطاهريين رغم استقلالهم الهادئ داخليا هادئًا في خراسان، وأنهم ظلوا يتولون أمرها، ويتوارثون الإمارة فيها، إلا أن ذلك لم يمنعهم من مساندة الخلافة العباسية، ومساعدتها في كل ما واجهته من فتن وثورات.

يسجل التاريخ للطاهريين محافظتهم على الولايات الشرقية من تعديات الأتراك، وتوسيعهم رقعة البلاد وتوطيد سلطان المسلمين بالقضاء على الخارجين،بالرغم من أنهم وقفوا عاجزين عن صد حركة الصفار الذين سقطت دولتهم على أيديهم سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م.

الدولة الصفارية

٢٥٤- ٢٨٩هـ / ٨٦٨ – ٩٠٢م

قضى يعقوب بن الليث الصفار على الدولة الطاهرية، وأقام دولته على أنقاضها، وقد لقب بهذا اللقب؛ لأنه كان فى بداية أمره يحترف صناعة النحاس الأصفر بسجستان، ثم اشتهر بالفروسية، فتطوع لقتال الخوارج مع رجل صالح كان يظهر التطوع لقتال الخوارج في سجستان بجنوب خراسان، فقاتل معه يعقوب، ثم مع من خلفه حين مات، فصار الأمر إليه، فأخذ يحارب الخوارج فى "سجستان" معلنًا ولاءه للخليفة المعتز، ومظهرًا شجاعة خارقة في قتال الخوارج حتى سيطر على سجستان، ، وصار يمد نفوذه على الأقاليم المجاورة حتى ملك "هراة"، وكانت تابعة للدولة الطاهرية.

وقد توجه "الصَّفَّار" إلى "كِرْمَان"، وبسط نفوذه عليها، ثم توجه إلى فارس فأخذها بعد قتال عنيف مع غريمه "على بن الحسين" الذي وقع أسيرًا جريحًا في يده.ولم يكتفِ بهذا، بل توجه إلى خراسان، وحاصر العاصمة "نيسابور" ودخلها سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م -خلافًا لما أمره به الخليفة- بحجة أن أهل خراسان طلبوه للضعف الذي يعانيه الطاهريون في عهد الخليفة العباسي "المعتمد"، وقبض على من كان بها من الطاهريين، واستولى على البلاد التي كان يحكمها الطاهريون.

وتقدم "الصّفار" في البلاد بعد أن هزم خصومه، وذهب إلى "طَبَرِسْتَان" فدخلها سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، وهزم صاحبها "الحسن ابن زيد العلوي" الذي عاد إليها مرة أخرى في نفس العام ٢٦١هـ/٨٧٥م. ويدرك الخليفة خطره، فقد اتجه

إلى بغداد، ولم يبْقَ في يد الخليفة إلا هي،ذلك أنه عندما تولى المعتمد على الله الخلافة، أصر أخوه الموفق على أن يكون ولاء الدولة الصفارية للخلافة ولاءً تاما لا صوريا، إلا أن يعقوب بن الليث رفض ذلك، وتدهورت العلاقة بين الطرفين، وهدد يعقوب بدخول عاصمة الخلافة وبسط سلطانه عليها، مما أدى إلى حدوث صدام مسلح بين الدولة الصفارية، والخلافة في منطقة واسط بالعراق، وكان لظهور الخليفة العباسي المعتمد على رأس جيش الخلافة أثر كبير في هزيمة يعقوب بن الليث، ورغم هزيمته فقد استمر في تحدى الخلافة ورفض التفاهم معها حتى تُوفي في جنديسابور سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م.

تولى رئاسة الدولة الصفارية بعد وفاة يعقوب بن الليث أخوه عمرو بن الليث، الذي كان حريصًا على كسب ود الخلافة حتى يؤكد سلطانه الروحي في بلاده، فاعترف به الخليفة المعتمد واليًا على خراسان والسِّند وسجستان وكرمان وفارس وأصبهان، وعندما تولى المعتضد الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد أقر عَمْرو على ما في يده.

وقد نشط عمرو في توسيع حدود دولته وتطلع إلى غزو بلاد ما وراء النهر، حيث الدولة السامانية، وعبر نهر جيحون ولكن السامانيين تصدوا له بقيادة زعيمهم إسماعيل بن أحمد السامانى وهزموه، وأخذوه أسيرًا إلى الخليفة المعتضد الذي سجنه حتى مات في سجنه سنة ٢٨٧هـ /900 م، وقد تولى زعامة الصفاريين بعد هزيمة عمرو وأسره حفيده طاهر بن محمد بن عمرو، ولكن أحوال الصفاريين تدهورت بشدة خلال هذه الفترة نتيجة الهجمات المتلاحقة التي شنها عليهم السامانيون، وسقطت دولتهم سنة ٢٨٩هـ = ٩٠٢

الدولة السامانية

٢٦١- ٣٨٩هـ

ظهر السامانيون على المسرح السياسي لدولة الخلافة العباسية في عصر الخليفة المأمون ١٩٨ – ٢١٨هـ = ٨١٣ – ٨٣٣م، وسموا بذلك نسبة إلى قرية سامان القريبة من سمرقند؛ حيث كانوا يتوارثون إمارتها، والى جدهم سامان خداه الذي كان أحد أشراف مدينة بلخ في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك.وسمى ابنه أسدًا، تيمنا باسم والي خراسان في عهد هشام بن عبد الملك، أسد بن عبد الله القسرى الذي اسلم سامان في عهده.

وطال العمر بأسد السامانى حتى أدرك المأمون، فذهب إليه في مرو، قبل انتقاله إلى بغداد في الفترة من سنة ١٩١ هـ/ 809 م إلى سنة ٢٠١هـ/ ٨١٧م، ومعه أبناؤه الأربعة: نوح وأحمد، وإلياس، ويحيى، فاحتفي بهم المأمون وألحقهم بخدمته.

وبعد انتقال المأمون إلى بغداد أمر بإسناد عمل إلى كل واحد من أبناء أسد السامانى، فتم إسناد حكم سمرقند إلى نوح، وحكم فرغانة إلى أحمد، وحكم الشاش إلى يحيى، وحكم هراة إلى إلياس، فكان هذا مقدمة لتمكن نفوذ السامانيين في هذه المناطق المعروفة باسم بلاد ما وراء النهر نهر جيحون

و قد برز أحمد بن أسد حاكم فرغانة على إخوته، وكان له سبعة أبناء هم نصر ويحيى ويعقوب وإسماعيل وإسحاق وأسد وحميد، وعند وفاته سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م حل محله ابنه الأكبر نصر، ودان له باقي إخوته بالطاعة والولاء.

وفي سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٥م حدَث التحول الحاسم في تاريخ السامانيين، حينما أسند الخليفة المعتمد على الله ولاية جميع بلاد ما وراء النهر إلى نصر بن أحمد بن أسد السامانى، فأقام نصر في سمرقند، وعين أخاه إسماعيل نائبًا عنه ببخارى وعهد إلى كل أخ من إخوته الباقين بحكم إحدى الولايات، مما يمكن معه اعتبار عام ٢٦١ هـ = ٨٧٥م بداية تكوُّن الدولة السامانية. وعقب وفاة نصر بن أحمد في سمرقند عام ٢٧٩هـ = ٨٩٢م ضم أخوه إسماعيل سمرقند إلى ملكه، وأصبح هو الحاكم الأعلى لكل بلاد ما وراء النهر؛ لذلك يرى بعض المؤرخين أن إسماعيل بن أحمد بن أسد السامانى هو المؤسس الحقيقي للدولة السامانية؛ حيث خضع له سائر الأمراء السامانيين، ووسع حدود الدولة، فضم لها خراسان ومعظم البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ الدولة الصفارية وبلغت الدولة السامانية قمة مجدها في عهده من ٢٧٩-٢٩٥هـ/908 -892 م ثم في عهد حفيده نصر بن أحمد بن إسماعيل٣٠١ -٣٣١ هـ/ ٩١٣ - ٩٤٣م وبدأت الدولة السامانية تتدهور منذ عهد نوح بن نصر ٣٣١ - ٣٤١ هـ/ ٩٤٣ - ٩٥٤م، حتى سقطت في يد الغزنويين سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م.

وقد كانت الدولة السامانية ملتزمة بمذهب أهل السنة، وكانت علاقتها بالخلافة العباسية علاقة احترام وإجلال؛ حيث كان أمراؤها يعدون أنفسهم نوابًا عن الخليفة. وقد ازدهرت الحياة العلمية في عصر السامانيين، وكانت بخارى، وسمرقند تنافسان بغداد في مكانتها العلمية والأدبية، بسبب تشجيع الأمراء السامانيين للعلم وحبهم للعلماء، فقد سمح الأمير السامانى أبو القاسم نوح بن منصور نوح الثاني لابن سينا باستخدام مكتبة قصره، كما قام الطبيب والفيلسوف المشهور أبو بكر الرازي ٢٥١-٣١١ هـ/925-865 = م بإهداء

كتابه المعروف في الطب المنصوري إلى الأمير السامانى أبى صالح منصور بن إسحاق أمير سجستان. وقد شهد الأدب الفارسي أيضًا عصره الذهبي خلال حكم السامانيين، وعاش الشاعر الفارسي المعروف الفردوسى شطرًا من حياته فـي عصـر الدولـة السـامانية.لقد كـان للسـامانيين الـذين حكمـوا منطقـة آسـيا الوسـطى وإيـران وشـمال أفغانسـتان دور كبيـر فـي تثبيـت دعـائم الإسـلام فـي التركستان الشرقية وكما يقول الدكتور حسن احمد محمود في كتابه الإسلام في آسيا الوسطى " والدور الخالد الذي قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب وإنما كسبهم عالم الأتراك الشرقيين للحضارة الإسلامية.

لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد بالسيف من ناحية (لإخضاع القوة المعادية(والتبشير السلمي من ناحية أخرى " فقد نشطت مدارس وجامعات بخارى وسمرقند وفرغانة في دعم العمل الدعوي بالعلماء المتفرغين للدعوة إلى الإسلام وذلك في أوج نشاطها في القرن الرابع الهجري الذي كان بحق عصر الدعوة الإسلامية الذهبي بين الأتراك الشرقيين.

الدولة الغزنوية

(351-582هـ/ ٩٦٢-١١٨٦م)

يقال عن هذه الدولة أنها وليدة الدولة السامانية. تنسب إلى ألبكتين الذي ولاه السامانيون في بادئ الأمر على خراسان ثم على غزنة في قلب جبال سليماني شمالي الهند. حيث تمكن بفضل أتباعه من إقامة هذه الدولة التي كانت مستقلة عن السامانيين إلا من ناحية التبعية الاسمية في سنة ٣٥١هـ، وبعد وفاته صار أمرها الى زوج ابنته ومملوكه سبكتكين الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية التي تعتبر أول دولة إسلامية في الهند، في الأقاليم الشمالية التي تكون الآن دولة باكستان الاسلامية. وفي عهده توسعت الدولة لتشمل "بشاور" في الهند، وخراسان التي كان يليها أول الأمر نائبًا عن السامانيين.

وقد آل الأمر بعد "سبكتكين" إلى ابنه إسماعيل، ومن بعده أخوه محمود الغزنوي الذي شرع في مهاجمة "نيسابور" بعد أن ملك غزنة ثم تمكن من الاستيلاء على خراسان في سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م معلنًا ولاءه للخليفة العباسي القادر بالله.

وقد أصبح "محمود الغزنوي" من الشخصيات العظيمة في التاريخ الإسلامي بسبب جهاده المتواصل في اتجاه الهند. فقد قاد سبع عشرة غزوة على الهند مكنته من ضم إقليم "البنجاب"، وجزء من "السند" إلى بلاده.وأخضع "الغور" وهى تجاور "غزنة" ونشر الإسلام هناك، و استولى على بخاري، وما

وراء النهر مستوليا على بعض ممتلكات بنى بويه كالرى وأصفهان، وحتى إقليم سجستان أخضعه لسلطانه، وظل في جهاد لا يتوقف إلى أن لقي ربه سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، ليتولى الأمر من بعده ابنه مسعود بن محمود الذي سار على نهج أبيه، غير أن الدولة ضعفت في أواخر عهده ؛ لتنتهي على أيدي قوتين هما قوة الأتراك السلاجقة الذين استولوا على أملاكها في خراسان، وقوة الغوريين الذين قضوا على ملكها في الهند وأقاموا على أنقاضها ثاني دولة إسلامية هندية وهي الدولة الغورية.

الدول في مصر والشام

الدولة الطولونية

٢٥٤ - ٢٩٢ هـ/٨٦٨ - ٩٠٥ م

عين الخليفة العباسي المعتصم الأمير باكباك واليا على مصر في عام ٢٥٤ هـ/٨٦٨، فأناب عنه أحمد بن طولون المولود في سامراء في عهد المعتصم سنة ٢٢٠هـ، ليتولى ولاية مصر.وبعد وفاة باكباك حل محله في ولاية مصر تركي آخر يدعى ياركوخ، تزوج أحمد بن طولون ابنته فأمن مركزه واقره ياركوخ على ولاية مصر وكتب إليه بذلك.وهكذا أتيحت الفرصة لأحمد بن طولون لإنشاء أول دولة إسلامية مستقلة في مصر،لم تكن تربطها بالخلافة غير المظاهر الشكلية المتمثلة في الدعاء للخليفة في خطبة يوم الجمعة، ونقش اسم الخليفة على النقود، وإرسال جزء من الخراج لدار الخلافة. وقد امتد سلطان ابن طول ليشمل بلاد الشام شمالا وليبيا غربا. وكان طولون من المماليك الأتراك، تدرج في حياة المماليك الأتراك بالمجتمع العباسي حتى وصل مرتبة قائد حرس الخليفة المأمون.

وتتمثل أهم أعمال أحمد بن طولون في بناء جيش للدولة من المماليك الأتراك والعبيد الزنج والعرب، وبناء مدينة القطائع في سنة ٢٥٦هـ، والجامع المعروف باسمه والذي أكمل بناءه في سنة ٢٦٥هـ على طراز عمارة المساجد العراقية،على شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٦٢ مترا في مساحة قدرها ستة أفدنة ونصف، والذي لا يزال موجودا. وكذلك بناء المارستان لمعالجة المرضى على اختلاف حالاتهم وكان ابن طولون يطوف بهذا المستشفى

أسبوعيا متفقدا الأدوية وأعمال الأطباء والإشراف على المرضى. بالإضافة إلى الأعمال الدفاعية والأسطول ونقل الخلافة العباسية إلى مصر وتوطيد علاقة الدولة الطولونية مع الدولة الأموية في الأندلس.واستمر حكمه (٢٥٤ – ٢٧٠ هـ/٨٦٨ – ٨٨٣ م).

تولى بعد ابن طولون ابنه أبو الجيش خمارويه (٢٧٠ – ٢٨٢ هـ/٨٨٣ – ٨٩٥ م) الذي جرت بينه وبين الخليفة العباسي المعتمد عدة حروب، انتهت بعقد صلح بين الجانبين نص على ترك مصر والشام لخمارويه وأولاده من بعده ٣٠ سنة. وتوطيد للعلاقة بين وبين الخليفة العباسي الجديد المعتضد قام خمارويه بتزويجه بنته المدعوة قطر الندى سنة ٢٨١هـ، وقد أفقرت هذه الزيجة خزينة في البلاد،وتوفي خمارويه على يد بعض جواريه وهو في طريقه إلى الشام سنة ٢٨٢هـ. وظلت الفوضى تضرب البلاد بعد وفاة خمارويه إلى سقطت الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م إثر دخول الجيش العباسي الذي أرسله الخليفة العباسي المكتفي بالله بقيادة محمد بن سليمان المعروف بالكاتب.

الدولة الإخشيدية

(323 - 358هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)

عادت مصر بعد سقوط الدولة الطولونية إلى الخلافة العباسية وعلى الرغم من ذلك ظلت ثلاثين عامًا تعانى من الاضطراب والفوضى والفتن الداخلية. وظل النفوذ العباسي غير مستقر في مصر بعد زوال الدولة الطولونية.

مؤسس هذه الدولة هو محمد بن طغج بن جف الملقب بالإخشيد. والإخشيد لقب تركي كان يتلقب به ملوك إقليم فرغانه في بلاد ما وراء النهر ، مستفيدا من الخدمات التي قدمها للخلافة العباسية المتمثلة فى الدفاع عن مصر ضد هجمات الدولة الفاطمية التي قامت في تونس، وبدأت تهدد مصر من جهة الشمال الإفريقي، وذلك في عام (٣٢١-٣٢٤هـ/ ٩٣٣- ٩٣٦). وفى سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م. الخليفة الراضي ولاية مصر وبهذا أسس الإخشيد ثاني دولة إسلامية عرفتها مصر.

.وظلت الأمور على ما يرام بين محمد بن طغج الإخشيد والخلافة العباسية حتى جاء اليوم الذي أرسل فيه الخليفة الراضي جيشًا بقيادة "محمد بن رائق" إلى الشام لانتزاع مصر من الإخشيد سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. بعد أن استولى على دمشق وحمص سنة ٣٢٧هـ، غير أن الإخشيد تمكن من إلحاق الهزيمة بجيش ابن رائق عند العريش. أعقب هذا عقد صلح بين الطرفين قضى بأن تكون البلاد الشامية شمالي الرملة لابن رائق. وفي العام ٣٣٠ حاول الإخشيد نقل الخلافة العباسية إلى مصر حينما استبد الأمراء الأتراك

بالخليفة العباسي المتقي، غير أن محاولته فشلت. ومات الإخشيد في مدينة دمشق سنة ٣٣٤هـ ودفن ببيت المقدس بعد أن أوصى بالملك من بعده لابنه أبي القاسم أونوجور على أن يكون كافور الإخشيدي وصيا عليه لصغر سنه.

ولاية أبي المسك كافور الإخشيدي(٣٣٤-٣٥٧هـ)

بعد وفات ابن طغج تولى وزيره أبو المسك كافور، وكان عبدا حبشيا، الوصاية على ولديه الصغيرين، وأثبتت هذا الوصاية مقدرة في إدارة شئون البلاد والدفاع عنها ضد الأخطار التي تهددها من "القرامطة"، والقضاء عليها. فلقد حافظ كافور على وحدة مصر والشام وبلاد العرب، وامتد سلطان الدولة الإخشيدية في عهده إلى "جبال طوروس"، في أقصى شمال الشام وصارت قوية الجانب يرهبها البيزنطيون.

لقد بلغت إمارة كافور على مصر أربعة وعشرين سنة ونصف حكم فيها باسم أبناء الإخشيد أونوجور وعلي ٢٢ سنة عدا سنتين ونصف انفرد فيها بالأمر واليا رسميا على مصر باعتراف الخلافة العباسية وظل اسمه طوال هذه المدة موضع الهيبة والإجلال، ويدعي له من منابر المساجد من طرسوس بأطراف الشام ومصر والحجاز، ولقد كان كافور شهمًا جيد السيرة. حارب الحمدانيين في الشمال وعقد صلحا معهم، وتصدى لخطر القرامطة وصالحهم، وحارب أمراء النوبة في الجنوب وأخضعهم لسلطانه وفرض عليهم جزية تؤدى سنويا لمصر، وفي الغرب تصدى لتهديد الفاطميين وطردهم من الواحات بعد أن عامل رسل المعز لدين الله الفاطمي باللطف واللين.

سقوط الدولة بعد كافور:

مات كافور سنة ٣٥٧هـ فخلفه "أبو الفوارس أحمد بن علي أبو الحسن" حفيد الإخشيد، وكان طفلا لم يبلغ الحادية عشرة من عمره، فاضطربت شئون الدولة وعادت الفوضى إلى البلاد، وكثر الطامعون فيها.

واشتدت هجمات الفاطميين من بلاد المغرب على مصر حيث حاول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الاستيلاء عليها بجيش يقوده جوهر الصقلي في ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ، استطاع القضاء على المقاومة الإخشيدية بعد أن عجزت الدولة العباسية عن الوقوف إلى جانب الإخشيديين، معلنا بذلك نهاية الدولة الإخشيدية وقيام الدولة الفاطمية الشيعية في مصر من الفسطاط في شهر شعبان من نفس العام.

الدولة الأيوبـية

(567-648هـ/ ١١٧٢-١٢٥٠م)

يعتبر صلاح الدين يوسف بن أيوب هو المؤسس الحقيقي للدولة الأيوبية، وذلك بعد أن عُيِّن وزيرًا للخليفة الفاطمي ونائبًا عن السلطان نور الدين محمود، فعمل صلاح الدين على أن تكون كل السلطات في مصر تحت يده، وأصبح هو المتصرف في الأمور، وأعاد لمصر التبعية للدولة العباسية، فمنع الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للخليفة العباسي، وأغلق مراكز الشيعة الفاطمية، ونشر المذهب السني.

التوجه إلى النوبة:

ومما يذكر أن نور الدين محمود –الذي بعث أسد الدين شيركوه وصلاح الدين إلى مصر –ما زال حيّا، وكان صلاح الدين خائفًا أن يحاربه نور الدين، ففكر لأجل ذلك أن ينظر مكانًا آخر يقيم عليه دولة له، فبدأ صلاح الدين مبكرًا في إرسال بعض خاصته يستطلعون الأحوال في بلاد النوبة واليمن وبرقة.

أما النوبة فكان يحكمها قبيلة الكنوز التابعة للفاطميين فأرسل صلاح الدين أخاه تورانشاه، وعينَّه على "قوص" و"أسوان" و"عذاب" و"النوبة"، ولما استدعى صلاح الدين أخاه إلى القاهرة أناب تورانشاه عنه رجلا من نوابه وزوده بقوة عسكرية.

أما برقة، فإن الفرصة لم تدع لأولئك –الذين بعثهم صلاح الدين لاستكشاف الأمر– أن يصنعوا شيئًا ذا بال؛ لأن نور الدين محمود قد توفي في

شوال سنة ٥٦٩هـ، وبدأ الأمر يستقر لصلاح الدين، وبدأ يعمل على توحيد الدولة الأيوبية وحماية أركانها في مصر والشام.

امتداد الدولة:

بدأ صلاح الدين التوجه إلى بلاد الشام بعد وفاة نور الدين، فدخل دمشق، ثم استولى منها على حمص، ثم حلب، وبذا أصبح صلاح الدين سلطانًا على مصر والشام .ثم عاد إلى مصر وبدأ الإصلاحات الداخلية، وخاصة في القاهرة والإسكندرية، ثم سافر إلى الشام؛ ليبدأ ما كان قد بدأه من قبل، وهو جهاده المشرق ضد الصليبيين.

وكانت دولة الأيوبيين قد امتدت إلى بلاد الحجاز؛ حيث قام صلاح الدين بتحصين جنوب فلسطين، والاستعداد لأي أمر يقوم به أرناط صاحب قلعة الكرك، والذي كان يدبر للهجوم على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، وكان صلاح الدين قد اعتني بميناء القلزم وميناء جدة، لأن أرناط كان قد عمَّر أسطولا في ميناء أَيْلَة أو العقبة، وأرسل سفنًا بلغت عِيذاب، فاستولى صلاح الدين على أيلة، وأخذ منها أسرى من الصليبيين، وكذلك قبض رجاله على بعض الصليبيين الذين وصلوا إلى عيذاب، وأرسلوا جميعًا مصفَّدين بالأغلال، حيث ذُبحوا مع الهدي الذي أهداه الحجاج لله سبحانه في ذي الحجة سنة ٥٧٨هـ ، واستولى صلاح الدين على بيت المقدس، وقد وقع في الأسر ملك بيت المقدس، ونفر من الفرسان الصليبيين ومن بينهم أرناط الذي لم تكد عين صلاح الدين تقع عليه حتى أمر بقتله.وعقب استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سقطت في يده كل موانئ الشام، فيما عدا موانئ إمارة طرابلس، وأنطاكية، وانتهت الحروب الصليبية بصلح الرملة بين صلاح الدين والصليبيين.

وظل صلاح الدين رافعًا راية الجهاد حتى صعدت روحه إلى بارئها عام ٥٨٩هـ بعد أن قسم دولته بين أولاده وأخيه العادل، ولكنهم تناحروا فيما بينهم، وظل بعضهم يقاتل بعضًا في ظروف كانت الدولة تحتاج فيها إلى تجميع القوى ضد الصليبيين ممن يكيدون للإسلام، ولم يمنع ذلك أن كانت لهم وقفات ضد الصليبيين، ففي الحملة الصليبية التي تعرضت لها دمياط، والتي كان يقودها لويس التاسع، الذي وقع أسيرًا، وحبس في دار ابن لقمان في عهد الملك توران شاه ابن نجم الدين أيوب، وبوفاة توران شاه انتهت دولة الأيوبيين.

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب

٢٩٣ - ٣٩١ هـ/ ٩٠٦ – ١٠٠٢م

ينتمى الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون بن الحارث من قبيلة تغلب، وقد ظهر نفوذ حمدان في شمال العراق سنة ٢٥٤هـ أثناء خلافة المعتز بالله، وتعاون مع خوارج الجزيرة في شمال العراق، واستطاع أن يسيطر على بعض المواقع الحصينة هناك، وأهمها قلعة ماردين، ولكن الخليفة المعتضد بالله استطاع استردادها، وقبض على حمدان وسجنه.

تعهد حسين بن حمدان بالطاعة والولاء للخليفة المعتضد وساعده في حربه ضد الخوارج حتى هزمهم، فقربه الخليفة وعفا عن والده حمدان بن حمدون وفي خلافة المكتفي بالله ٢٨٩ – ٢٩٥هـ/ 908 - 902 م تعاظمت مكانة حسين بن حمدان وقام بدور بارز في الحرب ضد القرامطة وفي الحملة التي جهزها العباسيون لاسترداد مصر من يد الطولونيين في سنة ٢٩١ هـ/ ٩٠٥م.

وقد شارك حسين بن حمدان في المؤامرة الفاشلة التي دبرها أنصار ابن المعتز لخلع المقتدر، وهرب حتى عفا عنه المقتدر وأسند إليه ولاية بعض البلاد وأهمها ديار ربيعة بالجزيرة سنة ٢٩٨هـ/ 911 م، إلا أنه حدث بينه وبين على بن عيسى وزير المقتدر نزاع انتهى بالقبض عليه، وقتله في سجنه سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م.

ورغم أن حسين بن حمدان كان من أعظم الأمراء بأسًا وشجاعة، وكان أول من ظهر أمره من ملوك بنى حمدان فإن أخاه أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان كان أعمق تأثيرًا وأوسع نفوذًا في تاريخ الأسرة الحمدانية، وقد ولاه

الخليفة المكتفي إمارة الموصل وتوابعها سنة ٢٩١ هـ/ ٩٠٦م، ويعد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان المؤسس الحقيقي لمملكة الحمدانيين في الموصل، التي ظل حاكمًا لها إلى أن قتل سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م عقب اشتراكه في المؤامرة الفاشلة لخلع الخليفة المقتدر، وقد خلفه ابنه حسن الملقب بناصر الدولة، واستطاع أن يمد سلطانه على أقاليم الجزيرة الثلاثة ديار ربيعة، وديار مضر وديار بكر، بإذن من الخليفة الراضي، حتى أقعدته الشيخوخة، فخلفه على الحكم ابنه فضل الله أبو تغلب الغضنفر سنة ٣٥١ هـ/964 م.

وقد دخل ناصر الدولة وابنه أبو تغلب الغضنفر في صراع طويل مع البويهيين، أصحاب السلطة في العراق منذ سنة ٣٣٤هـ/945 م، وانتهى هذا الصراع بهزيمة أبى تغلب الغضنفر أمام عضد الدولة البويهى سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م، وانتهت بذلك مملكة الحمدانيين في الموصل والجزيرة.

أما الدولة الحمدانية في حلب، فقد أسسها على بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان، الملقب بسيف الدولة؛ حيث استطاع بمعاونة أخيه الأكبر ناصر الدولة انتزاع حلب من الإخشيديين سنة ٣٣١ هـ/ 944 م، ثم استطاع بعد ذلك أن يبسط سلطانه على حمص وقنسرين والعواصم وبعض بلاد الجزيرة سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م.

وقد قام سيف الدولة الحمداني بمهمة جليلة أثناء حكمه الذي استمر حتى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وهى حماية حدود دولة الخلافة من غارات الروم البيزنطيين المتواصلة، بعد أن ضعفت الخلافة المركزية عن القيام بهذه المهمة المقدسة.

وكان سيف الدولة الحمداني أديبًا شاعرًا، فجمع حوله العلماء والأدباء، مثل أبى نصر الفارابي، وابن خالويه، وأبى الطيب المتنبي، وأبى فراس الحمداني وابن نباتة والسَّريّ الرَّفَّاء، وغيرهم.

وتُوفي سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وخلفه في الحكم ابنه أبو المعالى شريف المعروف بسعد الدولة، وضعفت في عهده سلطة الحمدانيين في الشام؛ لكثرة الضغوط التي تعرض لها من البيزنطيين والبويهيين في العراق، والفاطميين في مصر بغرض الاستيلاء على الشام.

وتُوفي سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ/٩٩١م، وتولَّى بعده ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة، الذي تعرض لضغوط الفاطميين المتزايدة لضم الشام إلى مصر، فتحالف مع البيزنطيين لصد هجمات الفاطميين عليه، ثم انتهت إمارته بمقتله سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠٢م على يد وزيره لؤلؤ الحاجب، وانتهت بذلك الدولة الحمدانية في الشام الذي أصبح خاضعًا لسلطان الفاطميين.

الدولة البويهية

(323-447هـ/ **٩٣٥-١٠٥٥م**)،

ينتسب البويهيون إلى أبى شجاع بويه الذي نشأ في بلاد الديلم التي تقع جنوبى غربى بحر قزوين أو بحر الخزر بين منطقتى طبرستان والجبال. وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع. ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيرًا فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في بلاد الديلم.

وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقي لأسرة بنى بويه، وإنما كان أبناؤه الثلاثة علي، وحسن، وأحمد هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكى أحد القواد البارزين المناصرين للداعية الشيعي الحسن بن على، الملقب بالأطروش، وأبرزوا تميزًا في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ما كان ومرداويج بن زيار أحد القادة الفرس في منطقة الديلم، وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هى الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامى ٣١٦و٣١٧هـ/ ٩٢٨ و ٩٢٩م وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها.

وقد ظهر بنو بويه –أو البويهيون– على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام ٣٢١ هـ/ ٩٣٣م يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على فارس، وشيراز وأصبهان، والرى، وهمذان والكرج وكرمان، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن

الخلافة العباسية التي كانت تئن تحت وطأة الجند الأتراك، فاضطر الخليفة العباسي المستكفي ٣٣٣-٣٣٤/ ٩٥٤-٩٤٦، وقد رأى تصاعد القوة البويهية، للاستنجاد بأحمد بن بويه ليتخلص من النفوذ التركي الذي يبدو أنه كان آخذا في التضاؤل، فدخل أحمد بن بويه بغداد عام في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة٣٣٤هـ / يناير سنة ٩٤٦م وسيطر عليها دون قتال، معلناً بذلك بدء النفوذ البويهي داخل الخلافة العباسية والذي استمر حتى عام ٤٤٧/ ١٠٥٥،ساعده على ذلك اشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م، مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمى دار الخلافة.

ولم يتغير حال الخلفاء تحت سلطان البويهيين، وهم من الشيعة الزيدية، بل كان للاختلاف المذهبي دور في المبالغة في إهانة الخليفة ومنصبه. وفي زمن بني بويه ظهرت الألقاب الفخمة الدالة على المكانة والأهمية، ركن الدولة، ومعز الدولة، وعضد الدولة، وصمصام الدولة وعماد الدولة، وكلها ألقاب تشير إلى أن البويهيين صاروا أهل الحل والعقد في الخلافة العباسية

الدولة السلجوقية

الدولة السلجوقية هي إحدى الدول السُّنِّية القوية التي قامت في إيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى. وتُنسب هذه الدولة إلى سلجوق زعيم عشائر الغُزّ التركمانية، التي هاجرت واستقرت في بُخارى.استولى أحد أحفاد سلجوق وهو (طُغْرُلبك) على إقليم خراسان سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م. ولما ضعف البويهيون في بغداد وكان قد اشتد ظلمهم للخلفاء، استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغرلبك لإنقاذه من البويهيين؛ فانتهز السلطان هذه الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها في عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، واعترف الخليفة به سلطانًا على جميع المناطق التي تحت يده، وأمر بأن يُذكر اسمه في الخطبة.واستطاع طغرلبك أن يقضي على تمرد أخيه (إبراهيم ينال)، وثورة البساسيري الشيعي، وأن يعيد الأمن والاستقرار إلى بلاد الرافدين.

ظلت العلاقة الطيبة قائمة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ما يقارب ثمانية عشر عامًا، لكن سرعان ما نشب الخلاف بين الطرفين؛ بسبب محاولة طغرلبك الاستئثار بجميع السلطات في العراق حتى تلك المتعلقة بالخليفة، إضافةً إلى أنه حمل موارد العراق المالية إلى الخزانة السلجوقية.وبعد وفاة طغرلبك استطاع خليفته ألب أرسلان أن يوسّع نفوذه على حساب الدولة الفاطمية، فانتزع منها حلب ثم مكة والمدينة، وتقدم إلى بلاد الروم وانتصر عليهم في معركة ملاذكرد، وضم إليه شطرًا من بلادهم في آسيا الصغرى.وقد حافظ ملكشاه على ما تركه أبوه ألب أرسلان، واستطاع القضاء على الثورات التي حدثت في بداية عهده، ونشر العدل والأمن والطمأنينة في البلاد. وكان مما يميز ملكشاه أنه كان مولعًا بالفلك، وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية بمعونة وزيره المشهور (نظام الملك) الذي أسس المدرستين العظميتين اللتين تعرفان باسمه في بغداد ونيسابور.

وبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، تفككت الدولة السلجوقية وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها؛ وذلك لتنافس الأمراء على عرش السلطنة، فضعفت بالتالي سيطرة الدولة على مختلف أقاليمها، مما جعلها عاجزةً عن التصدي للحملات الصليبية .هذا إضافةً إلى الحركة الباطنية التي أعاقت جهاد السلاجقة، وعملت على التصفية المستمرة باغتيال سلاطين السلاجقة وزعمائهم وقادتهم.

كان من مآثر السلاجقة تمسكهم الشديد بالإسلام، وميلهم القويّ إلى أهل السُّنة والجماعة. ووصل المسلمون في عهدهم إلى درجة عظيمة من التقدم في كثير من علوم الحضارة، وازدهرت في عهدهم الفنون بجميع أنواعها.

سقوط بغداد ونهاية الخلافة العباسية

أسباب كثيرة لكن نجملها في الآتي :

١- تفوق العناصر غير العربية: كان الأمويون يعتمدون على العرب، ويولونهم المناصب العالية كلها، مما أثار حفيظة [غيظ] الموالي من الفرس فعملوا على القضاء على دولتهم، لعلهم يستردون شيئاً من سابق نفوذهم وسلطانهم القديم فأخذوا ينشرون الدعوة لبني العباس، وتمكنوا في النهاية من انتزاع الخلافة من الأمويين، فجاءت دولة العباسيين فارسية الصبغة وقد عمل الفرس على اقصاء العصبية العربية عن الخلفاء بحجة أن العرب يطمحون إلى الخلافة، فأصبح الفرس يحكمون الدولة، كما نرى ذلك ممثلاً في سطوة البرامكة ولما خشي المعتصم مغبة الأمر استكثر من المماليك الأتراك واتخذ منهم جنداً استعان بهم على الفرس والعرب معاً.

٢- سوء الحالة الاقتصادية : بعد أن وطد خلفاء العصر العباسي الأول أركان الملك، جاء من بعدهم حكام اخلدوا إلى الدعة [الراحة والهدوء]، وأمعنوا في الترف وجر ذلك إلى كثرة في النفقات وزيادة الضرائب، فانحطت موارد الثروة وقل إيراد الحكومة، وضعفت بالتالي شوكة الدولة وعجزت عن تحصيل ضرائبها .

٣- ظهور الدويلات المستقلة: تمكن العلويون من اقتطاع أجزاء من الدولة العباسية أصبحت مستقلة عنها ومنها دولة الأدارسة في المغرب، والدولة الفاطمية التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى اليمن والحجاز، ودولة بني بويه التي سيطرت على بغداد، وغير ذلك من الدول في العالم الإسلامي ويضاف إلى ذلك أن اتساع الرقعة العباسية حمل الخلفاء على تعيين حكام

مـن أعـوانهم علـى المنـاطق النائيـة، فعمـد أولئـك الحكـام إلـى الاسـتقلال بمقاطعاتهم عن بغداد.

٤- تعـدد الأجنـاس والمـذاهب: لـم يكـن تعـدد الأجنـاس وظهـور مـذاهب دينيـة معروفـاً أيـام الأمـويين، بـل سـرت إلـى الإسـلام فـي العصـر العباسـي مـن الديانات القديمة كالمجوسية والمانوية والمزدكية وقد أدى ذلك إلى كثرة الملل والنحل، كما أذكى نار العداوة بين المسلمين فتفرقوا ملـلاً وأحزابـاً، تحسبهم جميعاً وقلوبهم مشتتة.

دخول التتار بغداد:

يقول ابن كثير في وصف كيفية دخول التتار بغداد: ثم دخلت سنة ٦٥٦هـ فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها، حتى الخليفة، وانقضت دولة بني العباس منها، استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمـــة عســـاكر ســـلطان التتـــار، هولاكوخـــان، وجـــاءت إلـــيهم أمـــداد صـــاحب الموصل[1] يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفًا على نفسه من التتار ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئًا، كما ورد في الأثر" لا يغني حذر من قدر"، وكما قال تعالى: ﭽ ﯓ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [سورة نوح: ٤].

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك فزعًا شديدًا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله

إنفاذ قضائه وقدره، أذهب من ذوي العقول عقولهم. فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة.

وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها – وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل – إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة؛ بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه، وهو أن هولاكو لما كان أول بروزه من **همدان** متوجهًا إلى **العراق** أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سَنِيَّة؛ ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا: إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشار بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئًا من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور، و**سليمان شاه**، فلم يبعثهما إليه، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية الشرقية، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة، ولا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم بقية الجيش، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم، حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله.

وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي **الرافضي**، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها **الكرخ** ومحلة الرافضة، حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هولاكو خان، لعنه الله، ثم عاد

فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم، وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خواجة **نصير الدين الطوسي**، والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة.

وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو ألا يصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك!! وحسَّنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي، وكان نصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع **الألموت**، وانتزعها من أيدي **الإسماعيلية**، وانتخب هولاكو نصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة، هوَّن عليه الوزير ذلك فقتلوه رفسًا، وهو في جوالق لئلاً يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق، ويقال: بل أغرق، فالله أعلم. فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده، ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن

الحشوش، وقني الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم.

وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكي لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من**الفاطميين**، وأن يبيد العلماء والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء.

وقد اختلف الناس في عدد من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر

وعفى قبره، وكان عمره يومئذ ٤٦ سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر **أبو العباس أحمد**، وله ٢٥ سنة، ثم قتل ولده الأوسط **أبو الفضل عبد الرحمن** وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر **مبارك** وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

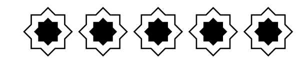
وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ **محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي**، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدًا بعد واحد، منهم الدويدار الصغير **مجاهد الدين أيبك**، و**شهاب الدين سليمان شاه**، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد، وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تجاه المنظرة فيذبح كما يذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة **صدر الدين على ابن النيار**، وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي –قبحه الله ولعنه– أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون عملهم وعلمهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى من ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده، فاجتمعا – والله أعلم – بالدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى الأمراء المقدر وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل

بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد **الشام**، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمقابر، وكأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضًا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه، أما الوزير ابن العلقمي فلم يمهله الله ولا أهمله، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر، في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة، وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب، ولكنه كان شيعيًّا جلدًا رافضيًا خبيثًا، فمات جهدًا وغمًّا وحزنًا وندمًا، وإلى حيث ألقت رحلها أم قشعم، فولى الوزارة ولده **عز الدين بن الفضل محمد**، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام، ولله الحمد والمنة.

وذكر **أبو شامة** وشيخنا **أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني** أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام. فالله أعلم.



المــراجــع

- يوسف العش. تاريخ عصر الخلافة العباسية.
- محمد سهيل طقوش. تاريخ الدولة العباسية.
- أحمد مختار العبادي. في التاريخ لعباسي والفاطمي.
- أحمد إبراهيم الشريف ود. حسن أحمد محمود. العالم الاسلامي في العصر العباسي.
- محمود شاكر. التاريخ الإسلامي (٥). الدولة العباسية.
- محمد شعبان أيوب. آخر أيام العباسيين.
- محمد إلهامي. العباسيون الضعفاء.
- راغب السرجاني. موقع قصة الإسلام (الانترنت).